إيمان ماضي

مجموعة قصصية

أيس كريم بالكراميل

fb/mashro3pdf

إيمـــان ماضـــى

آيس كريم بالكراميل

fb/mashro3pdf

الكتـــــــاب: آيس كريم بالكراميل

المــــؤلـــف: إيمان ماضى

الغـــــــلاف: محمد عيد

المراجعة اللغوية: إيمان الدواخلي

رقـــم الإيـــداع: 2013/22780

الترقيـم الدولـــي: 6 - 60 - 6447 - 978 - 977

مدير قسم النشر: فتحى المزين

Fathy66666666@yahoo.com

01282288056

التجهيز الفنى: إبداع

أ/ حسين الحماقـــى

01006674335

الإشراف العام: عيد ابراهيم

جميع الحقوق محفوظة

وأى اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والآراء والمادة الـواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب تقع على مسئولية الكاتب فقط لا غير.

العنوان: 6 شارع التحرير، محطة مترو البحوث، الدور 18، رقم 1902

الموقع الإلكتروني: www.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: Fathy66666666@gmail.com/info@ibda3-tp.com

fb/mashro3pdf

إيمـان ماضـى

آيس كريم بالكراميل

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

هذا العمل

مجموعة قصصية فوق العادة، حين قرأتها أحسست بذاك المذاق الخاص، الذي لطالما افتقدته وسط تدفق الكتب الجديدة وازدحام الأرفف. إنه مذاق التميز، الذي يجعلك تذكر اسم الكاتب في زياراتك التالية للمكتبات، لتبحث عن عمل جديد له.

شغلت الكاتبة في هذه المجموعة كثيرًا بمجتمعها، رموزه، أجياله، تناقضاته، فكره ومشاكله.. كانت حريصة جدا في رسم الشخصيات من حيث الفكر، واللسان، وحتى في اختيار أسماء أبطالها بما يناسب الأجيال والأماكن. كذلك حرصت - إلى حد كبير- على تنويع موضوعاتها.

ما بين "التوب الأخضر"، "عقد لولي وتوب حرير"، ومتتالية "شارع البركة" نجد أنفسنا أمام قلم يرصد التفاصيل ويخترق عمق المكان والأشخاص، ليرسم لنا حيوات عديدة لها مفاتيحها ورموزها، مفاجآتها وجاذبيتها، تعدديتها واختلافاتها، في سياق يأخذنا معه حتى نهاية السطور، حيث تنجح الكاتبة بأسلوبها السلس ولغتها الجيدة

fb/mashro3pdf

وتجسيدها للمشهد أن تنقلنا حيث أبطالها، لنحبهم ونكرههم ونغتاظ منهم أو ننتظر ردود أفعالهم، ويبقى منهم كثيرون معنا، يذكِّروننا بمن لا نتذكر بالضبط مَن، ولكنه بالتأكيد موجود في موقع ما من أحلامنا أو حياتنا أو ذاكرتنا. إن هذا ليس إلا إجادة الكاتبة، التي أضفت حيوية نصوصها على مستقبلاتنا نوعا من العشرة، التي تثير في عقولنا ظاهرة "ديجافو" لنظن أننا - حتمًا- قابلنا أحد أو بعض أبطالها من قبل.

الأديبة / إيمان الدواخلي

fb/mashro3pdf

الإهداء

إلى أبي الذي تعلمت منه حب الكلمات والنقاء

وإلى أمي التي علمتني الحياة

وإليك أنت

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الفهرس

هذا العمل 5

الإهداء 7

الفهرس 9

التوب الأخضر 13

أيس كريم بالكراميل 38

(شارع البَركة) 55

(1) قوت القلوب 58

(2) الحاجة صِدِّيقة 65

fb/mashro3pdf

(3) سيد رضوان 70
(4) سعاد 74
(5) صباح 77
(6) جورج تاضروس 81
(7) عم سعيد 84
كراكيب 88
البوتاجاز 95
قلب أبيض 100
ساعة صفا 105
عقد لولي وتوب حرير 111
الرابعة عصرا 122
بدون موعد 128
صفـــاء 132
انتهى الوقت! 138

fb/mashro3pdf

عيد الربيع 145
الفستان الأحمر 149
أعشاب مهدئة 152
فتاة في العشرين 166
عبـــاءتـــك 170
تنويه 175

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

التوب الأخضر

fb/mashro3pdf

بجلبابها فاتح اللون، وطرحتها البيضاء، ووجهها المتغضن بأيام العمر وسنواته، تجلس على مقعدها الأثير لا تفارقه، يحمل عقلها حكايات لا تنتهي، عمن جاءوا ومن ذهبوا ومن مروا من هنا يوما، ويحمل قلبها شوقا لمن حملوا أيام العمر ورحلوا..تجلس صامتة شاردة، وكأنها تعيش في عالم آخر أكثر دفئا وأكثر رحابة..عالم يتسع لأشواقها وحكاياتها.

تجلس وحدها وتدندن

يا زارعين الود هو الود شجره قل؟

ولا سواقي الوداد نزحت وماءها قل؟

أيام ننام على الفراش وأيام ننام ع التل

أيام بنشرب عسل وأيام بنشرب خل

أيام بنلبس حرير وأيام بنلبس تل

والله سواقي الوداد نزحت وماءها قل

تراني، فيتهلل وجهها وتحتضنني بحب، تقول: نحب بعضنا بعضا (طول عمرنا بنحب بعض طول عمرنا حبايب) وتغني لي (يا بت مالك أحلويتي يا بت لما حبيتي).ولكنها لا تتذكرني ولا تتذكر اسمي.

في لحظات رائقة تتذكرني، تمسك بيدي وتحملني إلى عالمها

fb/mashro3pdf

الخاص، أسرح معها وسط حكاياتها، فتمسني عدوى الشوق.

أحيانا تكمل الحكاية، وأحيانا لا تكمل، ولا تعود للقصة ذاتها، بل تحكي واحدة جديدة، أو تحكي ذات القصة من البداية لتقف عند ذات النقطة، وكأنها تهرب من استكمالها.

تضحك عيونها وهي تتذكره، يمتلئ جسدها النحيل المتعب بالحيوية وهي تحكي يوم رأته للمرة الأولى، تتنهد تنهيدة راحة وتحكي عن ذلك اليوم، حين كانت في عامها الرابع عشر..تقول: كان يوم جمعة، وكان أحد أصدقاء أبي مدعوّاً للغداء عندنا، ومعه الرجال من القرية المجاورة، لعقد جلسة صلح بينهما على أرض تقع بين القريتين.

منذ شروق الشمس بدأت أمي الاستعداد..ذبحت البط والحمام، ووقفت أنا والخالة (أم علي) نساعدها في نتف الريش وتقطيع البصل وتنظيف الأرز.

بعد صلاة الجمعة وصل الضيوف، وكان أبي بصحبتهم..أحدث وصولهم جلبة كبيرة أثارت فضولي، فتسللت إلى الشرفة الشرقية، ووقفت خلف الحائط اراقبهم، وقلبي يرتجف خوفا من أن يراني أبي فيكسر رقبتي.ومن بين كل الحضور، خطف هو قلبي بملامحه الطيبة وعينيه العسليتين وشعره الأسود الفاحم، فدعوت ربي أن يجعله من

fb/mashro3pdf

نصيبي؛ وبيني وبين ربي عمار..

تلمع عيناها فجأة، وتمسك بيدي وتقول بانفعال: هل حكيت لك حكاية (التوب الاخضر)؟.

فأهز رأسي نفيا، وكلي شوق لأعرف حكاية الثوب الاخضر، وأيضا أشعر بفضول لأعرف هل هذا الشاب هو جدي!..ولكني أكبح فضولي وأسكت..أود أن أتركها تسترسل في حكيها دون أن يوقف سيل الحكايات في رأسها شيء

هززت رأسي نافية وقلت: لا

انضبطت في جلستها قليلا، واتكأت على وسادتها القطنية، وقالت: كانت أيام جميلة، أيام كنا صغارا، تمتد أمامنا الحياة وكأنها بلا نهاية، ولا يشغل بالنا شيء.كنت قد توقفت عن الذهاب إلى المدرسة منذ عدة شهور، وكم كنت احبها وأحب التعلم..أحفظ أناشيدي وأرددها للمعلمة فتشجعني لحفظ المزيد، وبالكاد أستطيع القراءة، وكانت تأخذني الخيالات فأحلم بأن أصير معلمة حين أكبر. ولكن كان لوالدي رأيي آخر..تركني أذهب للمدرسة طالما كنت طفلة صغيرة، ولكن حين بدأ جسدي في النمو وبلغت عامي العاشر، قال كفى اجلسي في البيت لتساعدي والدتك؛ وهذا ما كان.

fb/mashro3pdf

وقتها كانت لنا جارة صبية، حسنها لا مثيل له، تكبرني بعدة أعوام، لم أرها قط..من فرط حسنها، حبسها أبوها منذ بلغت عامها الخامس، ولم يرها أحد.ولم يكن لنا اختلاط بهم لنزورهم.تقدم لخطبتها نصف شباب القرية، حتى وافق أهلها على أفضلهم نسبا وخلقا، وتمت قراءة الفاتحة والكل سعيد والدنيا راضية..ولكن ذات يوم، ظهر للفتاة عم كان قد سافر إلى غزة بصحبة أحد قوافل التجارة وهو صبي، وهناك استقر العم وطاب له العيش..تزوج وأنجب وازدهرت تجارته، غاب عن أهله سنوات وسنوات..ثم، ومن أجل حظ البنت، طاب له أن يأتي هو وابنه الأوسط لزيارة الأهل والأحباب بعد طول غياب، وأيضا كان لديه سبب خفي لم يخبر به أحد، وهو رغبته في أن يخطب لابنه فتاة من العائلة.

وصل العم، وقابله الجميع بالترحاب والفرحة.وحين وقعت بالمصادفة عين الولد على ابنة عمه، قال هي لي..هذه هي العروس التي تحملت عناء السفر لأجلها.ولم يكن رآها من قبل، ولكنه النصيب وإرادة الله حين يخضع لها كل شيء، فتتقلب القلوب وتتبدل الأحوال..قال هي ابنة عمي ولن تكون لغيري، ووقف أبوه في صفه، واجتمع العقلاء على أن يكلموا العم والولد ليقنعوهما بتركها وأخذ أختها الأصغر، ولكن الولد أصر على رأيه.

fb/mashro3pdf

أضحك حتى أتعب من الضحك، فتقرصني جدتي وتسأل بغيظ: مما تضحكين يا بنت؟!

: يا سلام!..وهل يصح أن يتسبب هذا الشاب الصغير في هذه الفوضى بهذا الشكل.. ليس على مزاجه تسير الأمور

: كان زمان غير الزمان، وكان بإمكان ابن العم طلب ابنة عمه في أي وقت، حتى إنه ليستطيع إنزالها من فوق الجمل.

أحاول ألا اضحك وأقول: جمل!

تخبطني على كفي قائلة: لا تفقهين شيئا (يا عبيطة) كان ابن العم مقدمًا على غيره في أحقية الزواج من ابنة عمه، وهذا مثل للمبالغة

: وما دخل الجمل في هذا؟!

: الهودج..من حقه إنزالها من هودجها من فوق الجمل يوم زفافها

: آاااااه كانت تزف في هودج..وأضحك

تقرصني وتقول ضاحكة: لا بركة في زمانكم، وتضحكين من زمان كان كله بركة!.

أقبلها على خدها وأقول: أنت البركة كلها يا حبيبتي.وأسأل: كيف تم الأمر ببساطة هكذا؟ وهل يصح ذلك؟!

: هكذا كان عرف الناس، تراضوا على ذلك منذ زمن وقبل الجميع.

fb/mashro3pdf

: ها وماذا بعد؟

: توسط أهل الخير لدى والد العريس، وتم الأمر بالتراضي بينه وبين أهل الفتاة، وفسخت خطبتها على الأول وعقد قرانها على الثاني.. تم عقد القران سريعا، وأقيمت لها ليلة كبيرة، حضرها المأمور والعمدة وكبارات البلد، وأولم العم وليمة عظيمة أنفق فيها إنفاقا لم نر مثيلا له من قبل، واستمر صوان الوليمة منصوبا لثلاثة أيام ومفتوحا للكبير والصغير.

أسألها: وهي أليس لها رأي؟

: حقيقة لا أعرف، ولكن بدا لي وقتها أنها تميل لابن عمها أكثر.. كانت يوم رأيتها سعيدة.

: رأيتها؟! هل ذهبت لعقد قرانها؟!

: تشبثت بأمي وقلت لها خذيني معك، عمري كله فداء لتلك الليلة. أشفقت عليَّ أمي من طول حبستي في الدار، فاصطحبتني معها. وهناك رأيت البنت للمرة الأولى، بعد أن سمعت عنها وعن حسنها حكايات وحكايات وكأنها أميرة العرب. يا ابنتي، ما حكاه الناس عن حسنها كان كلاما فارغا، هي أجمل وأجمل.. كانت تجلس على كرسيها ترتدي فستان أخضر من الحرير السندسي، وشعرها الذهبي منسدل حتى أسفل ظهرها، وكأنها حورية من الجنة.. بياضها شفاف، وعيونها عسلية

fb/mashro3pdf

مكحولة، بأهداب تثقلها من فرط طولها..لم أر خلال أيام عمري الطويل عروسًا بهذا الحسن..رأيتها فتمنيت من قلبي أن يرزقني الله بثوب أخضر من الحرير السندسي كثوبها، وكأن الثوب هو السبب في حسنها.

تضحك جدتي فيهتز جسدها كله، وتقول: كنا صغارا يا ابنتي، ونصدق فقط ما نود تصديقه

أضع كفي على كفها وأغمز بعيني: أنت جميلة يا جدتي، بثوب أخضر أو أبيض

تضحك مني وتقول مداعبة: ولكن الثوب زادني جمالا.وتغمز بعينها.

أشهق اندهاشا..آاااه حصلتِ على الثوب الأخضر؟! من أين؟! أخبريني!

يشرق وجهها بابتسامة فخر وتقول: أرسله الله لي.

- كيف؟!

- أخذت أدعو الله عشرين ليلة، حتى جاءتني الاشارة

- الإشارة؟!

- جاءني في المنام من أخذ بيدي، حتى وقف بي عند الحائط القديم الذي يقع في الحوش الخلفي للبيت، وقال لي ابحثي هنا..فاستيقظت على صوت أذان الفجر، وأنا واثقة أني سأجده خلف الحائط.ورغم البرد وخوفي من أبي، قمت لأبحث عنه.

fb/mashro3pdf

- وهل كان هناك فعلا؟!

تصمت وتشرد بعيدا..أنادي عليها فلا ترد ولا تلتفت..ثم تتركني وتقوم إلى فراشها، تهمهم وهي تبتعد (تعبانة ' تعبانة)

ألاحقها وألح عليها: جدتي جدتي

ترد بلسان أثقله تعب مفاجئ: نعم يا ابنتي.

:أكملي الحكاية..هل وجدتِ الثوب؟!!

لا ترد، وكعادتها لا تكمل الحكاية، فأظل ألاحقها وألح عليها لتكمل.

أعض على أصابعي من الندم، فأنا لم أعرف حكاية الشاب، ولا هي أكملت لي حكايه الثوب الأخضر.

يذكرني ما أفعله الآن لأحثها على الاستمرار في الحكي بما كنت أفعله بها وأنا صغيرة..كانت تجمعنا وقت النوم، لتحكي لنا حكايات عن الجن وعن الأميرات وعن العصفورة حارسة الكمون وخاطفها الراحل إلى أسطنبول، تريد بذلك تهدئتنا حتى يتمكن الكبار من النوم في هدوء.

كان الأطفال جميعا ينعسون بعد دقائق، أما أنا فلا أتعب..أظل منتبهة متطلعة للمزيد، حتى تتعب هي مني، وتحكي لي عن الفتى الذي كان يطلب المزيد من الحكايات.

fb/mashro3pdf

أسالها: ماذا حدث له؟!

ترد بصوت مثقل بالنوم: لن تصدقي ماذا فعل به جني الحكايات..

: ماذا فعل به؟!

أتطلع اليها بلهفة لتكمل، فلا ترد..أنادي: جدتي جدتي..فلا ترد.

أحاول إكمال الحكاية بخيالي، فلا يسعفني الخيال، فألح: جدتي جدتي ماذا فعل (جني الحكايات) بالفتى؟ فتتمدد على سريرها وتقول (تعبانة..تعبانة)

(٢)

ما الذي يحدث عند الكبار؟ لماذا ترتبك ذاكرتهم فجأة، وكأنهم قرروا التخلي عن كل شيء، أو الهروب من كل شيء؟ لماذا يتوهون في عوالم غير التي نشاركهم فيها؟..هل هو الحنين إلى الأحبة، أم هو هروب من واقع ثقيل، حين يخونهم الجسد وتبدأ أمراض الشيخوخة في مهاجمتهم، ويشرع الأحبة في الرحيل واحد تلو الآخر؟..أراها الآن تجلس أمامي، ولكنها في حقيقة الأمر ليست هنا..أتوق لمعرفة ما تفكر فيه، فأغمزها بأصبعي..(رُحتِ فين؟!)

fb/mashro3pdf

- هو فين حسن؟ (حسن هو خالي الذي توفي منذ عامين)

لا أجد ما أقول واتمنى لو أني لم أكلمها..أقول: ما رأيك في كوب من الشاي بالنعناع؟

تهز رأسها في استسلام وتقول: ماشي

أهرول إلى المطبخ قبل أن تسالني عن (حسن) مرة أخرى..أتلكأ في تحضير الشاي، علها تنشغل بشيء آخر غير التفكير فيه.

أضع كوب الشاي أمامها وأنا أضحك قائلة: كوب الشاي المضبوط وأربع ملاعق من السكر وأسألها ممازحة (مش خايفه على عودك أربع معالق سكر!)

تضحك بدلال وتقول: طول عمري وأنا عودي ملفوف لا زاد ولا قل أضحك منها ومن دلالها وثقتها.

تكمل: بعد الزواج انتقلت إلى بيت جدك، وكان البيت جزء من بيت العائلة الكبير..بيوت بعدد الأخوة وأبناء العم متراصة على الجانبين، وبينهم ممر ترابي عرضه ثلاثة أمتار، وفي مقدمة الممر البوابة الكبيرة، بعدها مباشرة الفرن وحظائر الماشية والأوز والبط والدجاج.بيوتنا جميعا متقابلة، وبوابة كبيرة على أول الممر مفتاحها مع الأخ الأكبر.

يستيقظ الرجال في الفجر، يذهبون للصلاة في المسجد، ثم

fb/mashro3pdf

يعودون لتناول الإفطار والشاي، كل في بيته..ثم يتوكلون على الله إلى اشغالهم، كل في اتجاهه..أما نحن حريم العائلة، فتنهي كل واحدة منا عمل بيتها، ثم نجد أنفسنا بعد الضحى ولا عمل لنا، فنجتمع في بيت إحدانا ولا نفعل شيئا إلا الأكل والضحك حتى أذان الظهر.نحضر (فتة الفول النابت) أو(فتة العدس) أو نخبز الفطير الساخن لنتسلى، فنأكل جميعا ومعنا الأطفال، الذين تجذبهم رائحة الطعام فيتركوا اللعب في الممر ويأتوا مهرولين...آكل أنا فيزداد عودي التفافا ووجهي إصباحا، أما هن يأكلن فيسمن ويحسدنني على عودي ووجهي المضئ.

يقلن: ما بالك لا تسمنين مثلنا...فأضحك منهن ولا أرد.

أنجبت أبنائي جميعا وظل عودي على جماله لم يتغير

أقول بمرح: ياسلام عليكِ..وماذا كنتِ تفعلين؟! ها أخبريني؟

تضغط على يديّ وكأنها تخبرني بأمر هام وتقول: بعد كل ولادة كنت أربط بطني بحزام من (قماش الدمور)، تلفه أمي حول بطني سبع لفات، تشده بقوة فور الولادة، ولا أخلعه حتى الأربعين..هل تعرفين؟! حتى تلك المرة حين انجبت ابنتي الثانية وتوفيت البنت قبل أن أتم الأربعين لم أخلعه..كنت مريضة وحزينة وفي الحداد ولم أخلعه.

تنظر لي وفي عينيها نظرة فخر وتقول: بعد وفاة الطفلة، كنت

fb/mashro3pdf

مريضة وحزينة (حزن الدنيا والآخرة) ولكني صبرت على قضاء الله ورضيت به، وأخذت أردد كما علمني أبي (اللهم أجرني في مصيبتي) أردد الدعاء وأمنع نفسي من البكاء، حتى أكتب عند ربي من الصابرين، وقلبي يتقطع ألما، حتى أنزل الله سكينته عليَّ وألهمني الصبر، وعوضني بخالك حسن (روح قلبي)..أين هو؟ لم يزرني منذ فترة؟

أعاجلها بالسؤال لأشتت انتباهها: ماذا حدث للطفلة؟ ولماذا ماتت، هل كانت مريضة؟

تتنهد قائلة: يااااه إنه أمر مضى منذ زمن بعيد..قدر الله وما شاء فعل

أسألها: ماذا حدث؟ احكِ لي

تعتدل في جلستها وتقول: جاء وقت الولادة، وذهبت لأضع طفلتي في بيت أبي، لتساعدني أمي في رعايتها..رجوتها أن تأتي هي للإقامة معي أسبوعًا أو اثنين حتى أسترد صحتي، ولكنها أبت..قالت لي: إخوتك وأبوك من يخدمهم؟! وأصرت..فأرسلني زوجي لبيت أبي.

كان بيت العائلة كبير، يضم بيتنا وبيوت أعمامي كلها، وتفتح البيوت جميعا على ساحة كبيرة في وسط الدار.

بعدما وضعت الطفلة بأسبوعين، أصيبت زوجة عمي بحمى توفيت على أثرها فجأة، وأقيم صيوان للحريم في وسط الدار..

fb/mashro3pdf

انشغلت أمي في العزاء، ولم تكن موجودة، لذا لم أستشرها حين حملت طفلتي الرضيعة وخرجت إلى العزاء..وهناك بكت الطفلة من الجوع، فأخرجت ثديي أمام النسوة لأرضعها، فشهقت إحداهن في وجهي قائلة: ماذا تطعمك أمك ليصير صدرك ممتلئا هكذا.

رأتني زوجة خالي من بعيد، فجاءت مسرعة واقتربت مني قائلة: أمك تبحث عنك، اذهبي اليها في الداخل.وأخذتني من يدي، وفي الطريق قرصتني في ذراعي قائلة: هل جننتِ؟ لم يتم أربعينك بعد ولا عزاء لك..ادخلي ولا تخرجي إلا بعد فض الصوان.

وفي نفس الليلة، أصبت بحمى وبالتهابات في ثديي، وانسدت قنوات اللبن وصارت الطفلة تبكي ليل نهار وأنا أرقد مريضة فاقدة للوعي، وصدري لا يخرج إلا الصديد والدم..أفقت من مرضي فلم أجدها..توفيت البنت ودفنوها بينما كنت غائبة عن الوعي.ظللت لأسبوع كامل أتخيلهم وهم يهيلون التراب عليها، فأبكي ويعتصر الألم قلبي..ولكن ألهمني الله الصبر، وأخذت أردد الدعاء الذي علمني أبي إياه، حتى عوضني الله عن صبري خيرا بحبة قلبي (حسن) صبي وجهه كالبدر وقلبه كالبفتة البيضاء..

: طول عمره مريح قلبي ربنا يسعده..اتصلي لي بحسن عايزه

fb/mashro3pdf

اسمع صوته؟

منذ أن بدأت ذاكرتها في الارتباك وهي تسأل عن خالي حسن كثيرا، نهرب من سؤالها فلا تلح، وكأنها تعلم ولا تكرر السؤال..ولكن الليلة لا أمل لي في أن أشغلها عن ذكر (حسن).تلعثمت ولم أجد حلا إلا الفرار من أمامها، فقلت وأنا أقوم مستعجلة: أتضور جوعا هل جعتِ؟! سأذهب إلى المطبخ لأرى ماذا لدينا للعشاء

: ليس لي رغبة في الطعام الآن، اجلسي.

أقول ممازحة وأنا أجلس: آآآآه عرفت لماذا كنتِ لا تسمنين.. كنتِ تخدعينهن (يا لئيمة) ولا تأكلين إلا القليل..فهمت الآن.

تضحك ضحكات عالية، وتقرصني في ذراعي وتقول: على من تقولين (لئيمة) يا بنت.

أسألها بفضول حقيقي: أخبريني حقيقة لماذا لم تسمني مثلهن؟! أخبريني عن سرك عن وصفتك السحرية علها تنفعني.

تبتسم في سلام وتقول: لأني كنت مرتاحة البال، لا أغير من هذه أو تلك، ولا أحمل غلا لأحد، ولا أنام في الليل قبل أن أسامح الناس جميعا ولا أحمل هم شيء..أي شيء..فقط أتوكل على الله، وأدعوه فيستجيب برحمته أو يؤخر فلا أتذمر، وحين ينزل البلاء أصبر الصبر

fb/mashro3pdf

الجميل فيعنيني ربي على ما بُليت به.

حين توفي جدك، كنت صغيرة ومعي أطفال ثلاثة.كنت ضائعة، أتماسك أمام الجميع ومن داخلي أنهار، ولا أعلم كيف ستفعل بي الأيام..أخاف على نفسي من الدنيا، وأخاف على أولادي من مرارة اليتم.وزاد من ألمي أكثر أن تغيرت معاملة نساء عائلة زوجي لي، كل واحدة منهن كانت تخاف على زوجها وتخشى أن يتزوج مني، فأصبحن يعاملنني بجفاء ولا يأتين لزيارتي.فتركت لهن بيت أهل زوجي أنا وأولادي، وانتقلت للحياة مع أبي وفي رعايته، حتى أثبت لهن أنه لا طمع لي في أي رجل بعد زوجي، وقلت سارتاح هناك.

وما إن أنتهت العدة، حتى تقدم الرجال لخطبتي، وأنا أرفض، وأمي تبكي وترجوني أن أقبل، وتقول: سأتحمل أنا مسؤولية أولادك.

وأنا أرفض، أقول لها: وهل ستعيشين لهم العمر بطوله؟ أتزوج أنا لأربي أبناء فلان أو علان، وألقي بأولادي إلى الشارع، يذهب ابني ليعمل في حقول الناس؟ وهذه الطفلة الصغيرة -وأشير إلى أمك- تعمل في بيوت زوجات أخوالها؟ لا والله لن أترك أولادي أبدا..زواج وتزوجت.. أولاد وأنجبت..وبيت وها هو بيت أبي يأويني، ما حاجتي أنا لزواج أو لرجل؟ اتركوني وحالي.وأبكي لفقد زوجي، فتبكي أمي لبكائي.

fb/mashro3pdf

عشت عامين من العذاب، كلما جاءت إحداهن لزيارتنا سقط قلبي في قدمي، وخاصة إن كان العريس من أسرة طيبة وذا مال. وكنت أخشي أن يجبرني أبي على ما لا أريد، ووقتها لن أستطيع الرفض.

حتى كانت ليلة دعاني فيها والدي للجلوس معه، وسحبت أمي الأولاد وأدخلتهم إلى حجرة النوم الخاصة بنا.

وقال أبي رحمه الله: يا ابنتي لا غنى للمرأة عن رجل يقوم على شؤونها. وأنت صغيرة لم تكملي عامك الثالث والعشرين، فلا تأخذك العزة فتندمي.

غلبني البكاء وأنا أرد: والله لا أترك أبنائي لغيري أبدًا، كفى ما بهم من يتم.

: يا ابنتي سنهتم بهم أنا وأمك، لا تخافي عليهم.

: يا أبي إنهم أمانة الله عندي، ماذا لو كانت الحياة معهم هي رغبتي؟ وماذا لو كان كل حلمي في الحياة هو أن أربيهم وأطمئن عليهم بنفسي؟.. أتجبرني على الزواج وأنا له رافضة؟!.

: لا يا ابنتي حاشا لله. أنا رجل أعرف ربي، لا إجبار إنما هي النصحية.

: وأنا اخترت أولادي ولا شيء غيرهم.

: وخيرا فعلتِ، ولتعلمي أن رسول الله عليه الصلاة والسلام بشر

fb/mashro3pdf

المرأة التي يموت عنها زوجها فتقضي عمرها في تربية أبنائها بلا زواج بالجنة..فشدي حزامك واستعدي للمسؤولية وللجنة أن شاء الله.

فضحكت ممازحة وشددت بيدي على بطني، كأني أشد حزامي وقلت: شددت.

فضحك وقال: توكلي على الله، ولتتقوي بذكره.لن يعيش أي منا لك لا أنا ولا أمك، ولن ينفعك إلا حسن توكلك على الله.

ثم قبّل جبيني وقال: قومي لتنامي في حضن أطفالك، بارك الله لكم وعليكم.

كانت سعادتي يومها لا توصف..احتضنت اولادي ليلتها وظللت أبكي طوال الليل حمدا وامتنانا إلى الله أن مكنني من البقاء بصحبتهم، ودعوته من كل قلبي أن يعينني على تربيتهم، وكنت بعدها كلما ضاقت الدنيا وثقلت المسؤولية أتذكر كلمات أبي عن الجنة التي تنتظرني إن أنا نجحت، وأتذكر حسن التوكل فأرمي همومي على الله، وأقوم رائقة البال فيفرجها ربي برحمته.

أسألها بشغف: ماما أخبرتني أنك حين كانت تضيق بك الدنيا ولا تجدين ما تنفقين، كنت تجدين مالًا في الدولاب أو تحت الوسادة، لا تعرفين مصدره، وكأنه يظهر من العدم.هل كلامها حقيقي.ها؟!

fb/mashro3pdf

تنظر لي نظرة حائرة، وتطيل النظر، ثم تقول: سأحكي لك حكاية.. بعد وفاة جدك، سافر اثنين من إخوتي إلى الحج.لم يكن معنا سوى أخ واحد، كان عليه السفر لسوق المواشي في مدينة بعيدة، وكان عليه أن يغيب أسبوعين على الأقل، ولا مجال لتأجيل أو إلغاء السفر..وبعد سفره، خلا البيت علينا أنا وأمي وزوجات إخوتي والأطفال.وفي ذلك الوقت، كان لصوص المواشي يعيثون في البلدة والبلاد المجاورة فسادا، لا يمر يوم أو يومين إلا ونسمع عن فلان الذي سرقت مواشيه، أو علان الذي قتل أو أصيب وهو يدافع عن بيته.

لذا، وبعد خلو البيت علينا، كدت أموت رعبا..في البداية، كان يصيبني قدوم المغربية بالرعب، وأظل قلقة طوال الليل، يرتعد قلبي لأي صوت كان، حتى وإن كان صوت أنفاس أولادي..حتى فكرت أنه لا حارس إلا الله، وأنه مهما سهرت من الليل فلن يغير سهري شيئا، فكنت في كل ليلة أقرأ آية الكرسي واستودع الله كل البيت بما فيه، فصرت بعدها أنام وأنا مطمئنة البال، لا يؤرقني شيء..حتى عاد أخي من سفره الذي كان قد طال عن المعتاد، ولم يحدث مكروه بفضل الله.

وانتشرت شائعة قوية في البلدة كلها تقول إن بيت (إبراهيم) تحرسه في الليل (خيّالة) بيض، يطوفون حول البيت بأحصنتهم الأصيلة طوال

fb/mashro3pdf

الليل. ولا يعرف أحد على وجه الخصوص من أطلق الشائعة.

أسألها بفضول: وهل حقا استأجرتم خيّالة.

: لا لم نفعل أبدا لم يكن أمر هكذا بالأمر اليسير.

: إذا ما حكاية الخيّالة.

: لا أعرف؛ كل ما أعرفه أن وجودهم أو وجود الإشاعة حول وجودهم جعل لصوص المواشي لا يفكرون في الاقتراب من بيتنا أبدا.

أسألها بفضول: إلى متى عشتِ أنتِ والأولاد في بيت والدك؟!

: كثيرا، عشت في بيت جدك حتى كبر حسن وأنهى دراسته الإعدادية. وقتها قلت لنفسي صار حسن رجلًا، يجب أن نعود إلى بيت عائلة زوجي، نعيش أنا والبنات في رعاية حسن وفي بيت أبيه. لا يصح أن يتبع هو أمه فيعيش عند أهلها، هذا شيء لا يصح ولا يليق برجل.

أسألها بتعجب: كان مجرد فتى أنهى تعليمه الإعدادي للتو، كيف تعيشين في رعايته.

تقول بحسم: الرجال تصنعهم المسؤوليات يا ابنتي.. حين تجعلي ابنك مسؤولا يصير مسؤولا، وإن عاملته كطفل من سيحترمه؟!.. كان حسن لها وأكبر.. ليته هنا، كان سيحكي لك عما فعل مع أعمامه حين عاملوه كطفل في أول عام لنا في بيت أهله.

fb/mashro3pdf

: ماذا فعل؟! احكِ لي.

: أين هو؟! كان بيننا وعد أن يزورني؟ لماذا لا أراه؟

أقول مقاطعة لأغير الموضوع فورا، فقد سيطر حسن على تفكيرها الليلة ولا مفر: لا فائدة فيك، إن طاوعتك أموت جوعا؛ أنا ذاهبة لأحضر العشاء.

تقول بصوت حزين: قلت لك لا رغبة لي في الطعام الآن.

ولكني أقوم متجاهلة عبارتها الأخيرة، وأفر للمطبخ ثانية، وأدعو من قلبي أن تمر الليلة على خير.

أحضر عشاء خفيفا، وأرتب الاطباق على صينية نظيفة ولامعة حتى لا توبخني.

أضع الصينية أمامها واقول لأشوش عليها: أجمل عشاء لأجمل جدة تنظر للصينية بتفحص وتقول بسم الله ما شاء الله على البنات.. سلمت يداك..هل تعرفين؟! تزوجت جدك بسبب صينية طعام كهذه.

أضحك وأسألها: صينية طعام؟!

تقولها بصوت متعب، تخالطه قليل من البهجة: كان جدك في زيارتنا هو وخاله لسبب ما يتعلق بجلسة الصلح التي كان أبي قد

fb/mashro3pdf

عقدها..وكانت زيارته صباحا، فحضرت أمي طعام الإفطار وساعدتها أنا..أعدت أمي الفطير الساخن وأطباق من العسل الأبيض والقشطة والجبن والبيض المسلوق..كانت الصينية عامرة بما لذ وطاب، رُصت عليها الأطباق بنظافة وترتيب بالغين، ثم قامت أمي بتغطيتها بشال أبيض نظيف، وجاء أبي لحملها ووضعها امام الزوار.

رأى جدك الصينية، وقال في نفسه هذا بيت كرم، وهذه أم ماهرة، أريد ابنتها.وفي اليوم التالي، أرسل عمته الصغرى التي جاءت لزيارتنا بشكل مفاجيء، فوجدتني أنظف صحن الدار وأساعد أمي في شغل البيت، ورأت ضفائري الممتلئة الطويلة، وجسدي الممشوق الفائر، فكلمت أمي عن ابن اخيها في حينه ولم تتردد.ولم يمر الشهر حتى كنت في بيت زوجي.

: هيا مدي يدك لتتناولي عشاءك أولا، ثم تحكي لي عن زفافك كيف كان.

تقول بصوت حزين:لا سأنتظر حسن..وعدني بالزيارة..سأقوم الآن لأصلي العشاء قبل أن أتأخر، ساعديني لأقوم فأتوضأ...وتناديني باسم خالتي!.

fb/mashro3pdf

(٣)

أحيانا أفتقدها بشدة فأبكي، وكأني فقدتها بالفعل.ولكني أفيق على وجودها بجانبي..أشعر انني شاركت فيما وصلت إليه دون أن أدري، أو كنت أدري ولكن لم أكن أملك أن أفعل غير ما فعلت..أتذكر حين كانت تتصل بي معاتبة في الماضي القريب، مرة باللين والمزاح ومرة بالتأنيب والعتاب الشديد، تقول: أحبك وأحب أن أراكِ، وأشتاق إليك.لماذا لا تزوريني؟

أجيب في بلاهة: يا جدتي، كنت عندك الأسبوع الماضي

فتقول بحب: يا بنت، وهل الأسبوع الماضي قريب؟ آه منك، أشتاق إليك ولرؤيتك

أرد بصبيانية: يا جدتي!.

تقول برزانة: أحب أن أن أرى أحبابي وأستأنس بهم، لا أطيق بعدهم ولا أعلم هل سيطول العمر أم لا..على الأقل اسألي ولو باتصال..ساقرصك حين أراك

أضحك منها ومن دلالها على أحبابها، وأقول: حاضر يا ست الستات، سأتصل دائما، وسأكون عندك في الغد.

تراني في الغد فتحتضنني بحب، تضغط عليّ تضمني بقوة وتقول:

fb/mashro3pdf

آآه لو تعرفين غلاوتك! أنت ابنتي الثالثة ولست حفيدتي.

أقبل جبينها ويدها وأقول: الله لا يحرمني منك يا جدتي.

ترد بحنان: الله لا يحرمك من أمك وابيك ومن كل أحبابك.

الآن أجلس بجوارها أحيانا كثيرة فلا تعرفني..لا أتصل فلا تهتم، أتصل فلا تتعرف على صوتي..أتعبها الشوق لرؤيتي فأسقطتني من ذاكرتها لترتاح؛ أسقطتنا جميعا لتستطيع العيش بلا ألم الشوق.. سافرت بخيالاتها لأناس كانوا أكثر وفاء منا..أما أنا، فأفتقدها بلا توقف، ولا أمل لي إلا أن أتحمل ألم الفراق منذ الآن.

أساعدها لتقف ولتتوضأ..تتمتم بأذكار الوضوء دون أن ترفع صوتها..تتم الوضوء بإتقان وإسباغ بفروضه وسننه، ثم تخرج من الحمام فتقرأ الشهادتين وتمسح على وجهها..تتكئ عليّ حتى تصل إلى حجرتها، ثم تجلس على سريرها وتميل تجاه القبلة، تمدد ساقيها على السرير للأمام، تغطيهما بغطاء صيفي خفيف..تطوي سجادة الصلاة إلى نصفين وتضعها فوق ساقيها، ترفع يديها لتكبر وتنوي للصلاة.تصلي إحدى عشر ركعة، بين فرض وسنة، أراها تصليهن في كل ليلة منذ أن كنت طفلة ولم تتوقف يوما.

أراقبها وهي تصلي في سكينة وخشوع، لا تشعر بالعالم حولها، ولا

fb/mashro3pdf

تهتم لغير صلاتها..تقرأ الفاتحة كاملة وسورة الاخلاص والتحيات، ثم دعاء ختم الصلاة والتسبيح، لا تفوتها كلمة ولا تخونها ذاكرتها كما تخونها دائما.

أتعجب!!..إن كانت تتذكر سنة الشفع والوتر ودعاء ختم الصلاة، فكيف تنسي اسمي واسم ابنتها فلذة كبدها، وتغيب ذكرانا من عقلها أحيانا كثيرة؟..ترى ابنتها فلا تعرفها، لا تتذكر حتى أن ابنها الوحيد توفاه الله.

يضيء وجهها وهي تصلي بنور رباني، وتنفصل عن كل ما حولها، تصير في لحظة إنسانة أخرى أكثر هدوءا وأكثر ثقة.

تنهي صلاتها فأبادرها: حرما يا ست الستات.

ترد بصوت تملؤه السكينة: جمعا يا ابنتي..ثم تتردد وهي تتفحص وجهي وتسألني بريبة: وانتِ بنت مين يا حبيبتي..جاية مع والدتك؟

تنزل دموعي رغما عني، أحاول إخفائها عنها، فلا أستطيع..لا أتحمل فكرة أنها لم تعد هي، وأن العمر مر ولا زال يمر بلا توقف، وأنه -وفي لحظة ما- سيكون علي تقبل الفراق الكامل..لا أحتمل هذا الإنذار المستمر الذي يطن في قلبي حين أراها وقد أصبحت إنسانة أخرى غير التي عرفتها عمري كله..ذاهلة عمن حولها، لا تتذكر أسماء الأحبة..إنسانة أكثر ضعفا وأكثر هدوءا..ورغم ضعفها لم تعد تهتم لأحد ولا تحتاج لأحد، كأنها استغنت عن الناس جميعا بشيء آخر لا نعرفه.

fb/mashro3pdf

أيس كريم بالكراميل

fb/mashro3pdf

أخذت تتأمل صورتها المنعكسة على شاشة الحاسوب أمامها، وتتأمل ثنايات جسدها الممتلئ وهي تجلس منكفأة إلى الأمام..تندمج الثنايات فتتلاشي معالم أنوثتها، وتبقى صورة لأكوام من اللحم متجمعة فوق بعضها البعض.صورة وجهها غير واضحة، لتلمح غياب النضارة عنه. ولكنها تشعر بغيابها عنه بقلبها، الذي تداهمه تجاعيد الزمن بلا رحمة.

تخبط بعصبية على أزرار لوحة المفاتيح، تعلق لهذا وتحكي لذاك، تلقي النكات يمينا ويسارا، ويلتهمها التوتر وهي تنتظر دخوله على الشبكة.تحاول التشاغل عن غيابه، لتثبت لنفسها انها لا تنتظره كما ينتظر كل شيء في حياتها..منذ سنوات عديدة وحياتها كلها معلقة، وأحلامها جميعا قيد الانتظار، تنتظر معجزة ما تأتي فتغير كل شيء.. ليس الأول، وتخشي ألا يكون الأخير الذي تتعلق به وبوجوده من خلال شبكة الإنترنت.

هم متشابهون في الأصل، جميعهم يبحثون في الفتاة عن الجمال أولا وقبل أي شيء.قد يتظاهر بعضهم بعكس ذلك؛ يتظاهرون ويرتبون عبارات متناسقة خلابة عن عقل الفتاة وأخلاقها وطبعها و....و....، بينما جميعهم في النهاية يبحثون عن الشيء ذاته.

قتلا للوقت، أخذت تقلب في صفحات الإنترنت بحثا عن وصفة

fb/mashro3pdf

فعالة تساعد على فقدان الوزن..منذ تعرفت على جوجل وهي تبحث كل يوم عن وصفات لفقد الوزن، علها تجد واحدة سحرية.جربت من قبل كل شيء، ولم يفلح مع سمنتها المفرطة شيء.أخبرها الطبيب أن سمنتها في الأساس سمنة وراثية، وهي تصدقه تماما؛ فحتى عندما تتغلب على ما ورثته من شهية مفتوحة وقابلية للسمنة، وتتمكن بعد حرب طويلة مع النفس من تطبيق نظام جديد، وتظل تناضل طوال النهار، تعود في نهاية اليوم فتضع أمها أصناف الطعام الغارق في السمن البلدي وتشكيلة السلطات والمقبلات أمامها، وخذي هذا لخاطري وذوقي هذا (وحياتي)، لتنتهي مقاومتها وينتهي مستقبل التخسيس في العالم أجمع خلال دقائق..

تحب الطعام وتعشق أصنافه، وكذلك أمها وجدتها لأمها يحبانه.. تجد فيه ضالتها وتشبع به خواء روحها الذي لا ينتهي..لا تتذكر متى بالضبط بدأ تعلقها بالطعام؛ ربما بعد ذلك اليوم، وربما قبله، ولكنها تتذكر هذا اليوم جيدا..تتذكر جيدا حين استيقظت وهي طفلة في السابعة، وكانت قد أعدت كل الخطط اللازمة للذهاب إلى المصيف، ولم تهتم للمشاجرات التي وقعت بين أبويها بسبب المصيف ومصاريف الإعداد له، والتي تصر أمها في كل عام على أن تعد له العدة كاملة،

fb/mashro3pdf

فتنفق يمنة ويسارا على البشاكير والعوامات الجديدة وأشياء أخرى لا قيمة لها، لا تتذكرها الآن.كانا يتشاجران على كل كبيرة وصغيرة، ولا جديد..استيقظت لتجد أباها وقد غادر البيت بلا رجعة، وأمها متورمة العينين من أثر البكاء طوال الليل.

- فين بابا؟

- مشي

- فين؟!

- مشي وخلاص

- مش هنسافر؟

- لا

ثم سحبتها أمها من يدها ووضعت أمامها أصنافًا من الطعام، كانت قد أعدتها بالأمس للسفر، وقالت

- كُلي

أفرغت حزنها على ضياع السفر في الأكل، وظلت تأكل..اكتشفت حينها علاقة وثيقة بين البهجة وأصناف الطعام المختلفة، وصار من الصعب عليها الآن وهي على أعتاب الثلاثين فك هذا الترابط الوثيق بين الطعام والحب..الطعام بديل للحب، وبديل للبهجة، وبديل للأب،

fb/mashro3pdf

وبديل لكل شيء إن أردت له ذلك.

رن صوت الحاسوب معلنا عن وصول رسالة، فتحتها فوجدته وقد كتب

- هاي..انتِ هنا من امتى؟

ارتعش قلبها وسرت في جسدها كله لسعة من الكهرباء، فانتفضت في مكانها وكتبت

- من شوية

- بقولك ايه مش هرغي كتير لازم اشوفك

دارت بها الدنيا وارتفع الدم إلى رأسها..تماطل منذ شهور وتهرب من هذا الطلب، حتى نسيت أنه لا مفر منه.يتحدثان على شبكة الإنترنت منذ ثلاثة شهور، ولا مجال لان يستمر الوضع هكذا.

- ها امتى

- أنا مسافرة النهارده

- وبعدين

- هرجع بعد شهر

- ايه؟!

- غصب عني دا حجز طيران

fb/mashro3pdf

- ماشي

- زعلت؟!

- لا أبدا لكن ساعات بحس أنك بتتهربي أني اشوفك

- أبدا أنا بس مسافرة

- يعني ماسمعتش منك حكاية السفر قبل كده

- ماجاتش مناسبة

-طيب

- ماتزعلش أرجوك

- هسيبك دلوقتي عندي شغل

- ارجوك ماتكبرش الموضوع

- سلام

- غصب عني فعلا صدقني

- سلام

- سلام

لن تقاوم دموعها الآن، ستتركها تنساب كما تشاء..ستفكر كفتاة سمينة دون مقاومة لسنوات وسنوات، وهي تهرب من الحقيقة، تضحك من نفسها وتخفي دموعها خلف ضحكات صاخبة لا تهدأ.

fb/mashro3pdf

اليوم لن تخفي دموعها خلف أي شيء، لا ضحكات صاخبة ولا نكات مضحكة ولا صمت مطبق..ستغلق باب غرفتها، وتبكي كما لم تبكِ من قبل..

سألت نفسها..تُرى هل كتب عليَّ أن أظل حبيسة هذا الجسد حتى الموت؟!..لن تأسى على حالها كثيرا، لن تظل حبيسة هذا الجسد إلى الأبد، عليها أن تعيش ما أرادت أن تعيشه، ولا تنتظر ليوم واحد..منذ سنوات وهي تؤجل اجراء العملية، لأنها تعرف أنها لن تكون الأخيرة.. ستكون الأولى، وستتبعها عدة عمليات، وهذا أمر مخيف؛ ولكن آن الأوان، وعليها أن تتخذ خطوة في الاتجاه الذي تظنه صحيحا..عليها أن تمسك بزمام الأمور ولو لمرة واحدة في حياتها، فلطالما كانت خطواتها في الحياة بلا اتجاه، لا صحيح ولا خطأ، فقط ساكنة في مكانها تنتظر وتتناول مزيدًا من أصناف الطعام.عليها أن تكمل جلسة البكاء كما أرادت لها أن تكون..ثم لتقوم فتبحث عن هاتف الطبيب الأشهر في هذا المجال.

بحثت على (جوجل) حتى وجدت رقم عيادته، وبعض لقاءات له في برامج نسائية.اتصلت بالعيادة وجاءها صوت سكرتيرته العذب: أهلا بك عيادة الدكتور.....

fb/mashro3pdf

: أهلا ممكن أحجز.

: لحظة، وتركتها مع طنات نغمة (الويتنج) دقائق، ربما كانت قليلة ولكنها مرت وكأنها الدهر، خلاله لعب الشيطان برأسها لعبا، ومرت الأفكار المخيفة حول مخاطر الدخول إلى حجرة العمليات في رأسها دفعة واحدة، وكأنها أفلام رعب مخيفة. تذكرت كل الحكايات المرعبة عن مشاكل التخدير التى أودت بحياة البعض، أو لشلل أو غيبوبة طويلة، وهمت أكثر من مرة بإغلاق الخط، ولكنها تماسكت.

قالت السكرتيرة: سيبي رقمك وهنتصل نبلغك الميعاد

:أرجوكي عندي سفر آخر الشهر وحجز طيران صعب أنتظر

: يبقى كشف مستعجل هتدفعي الضعف.

:مفيش مشكله.

: هننتظرك الخميس الجاي سبعة بالليل..على الميعاد بالظبط أرجوكي.

: تمام.

: مهم جدا وانتِ جايه يكون معاكي نتيجة بعض التحاليل اللازمة هبعتلك على الموبايل رساله فيها التفاصيل..عشان نختصر الوقت أرجوكي

: حاضر إن شاء الله.

fb/mashro3pdf

في مركز التحاليل، جلست تنتظر استلام النتائج، بعدها ستذهب إلى عيادة الطبيب لتجري الكشف..ينتابها قلق شديد وتتلاعب الهواجس بها..كل هذه السنوات من السمنة المفرطة، من الصعب أن يظل الشخص بعدها سليما معافى.ماذا تفعل لو اكتشفت مرضًا لم تكن تعرف عنه شيئا؟ ستكون وقتها الشكوى من السمنة مجرد رفاهية، وسيكون عليها الالتزام بنظام غذائي رغما عنها.

: نعتذر عن التأخير مشاكل في الطابعة.

: مافيش مشاكل.

: كل الأمنيات بدوام الصحة.

: شكرا.

في المصعد، فتحت التقارير وأذهلها أن كلها طبيعية وجيدة

قال الطبيب حين رآها: جميل.. نتيجة التحاليل ممتازة.. كويس.

: الحمد لله.

: ليه عايزة تعملي العملية؟!

ضحكت ضحكات متقطعة لتداري خجلها من هذا الجسد، وقالت: زي ما حضرت شايف

ولا تعرف هل كان يتلذذ الطبيب بإحراجها أكثر، أم كان يريد أن

fb/mashro3pdf

يستمتع باحتياجها له، أم أنه كان يجري محادثة عادية، بينما هي التي أصبحت تتحسس من أقل الكلام.

قال: انتِ كده تمام.. وزنك كام؟ ١٨٠

وضحك!

سايرته في الضحك، وحاولت قول شيء، لكنها خشت أن تنفلت دموعها، فسكتت.

قال: خلينا نشوف اتفضلي

وأشار إلى الميزان..

- اووووه أنت مش محتاجة عملية انت محتاجة عمليات. لازم أكون واضح، العمليات هتكون على مراحل مختلفة، ويلزمنا وقت عشان نوصل للصورة المثالية.

: وانا مستعدة.

: هحط برنامج ولو ما التزمتيش أنا مش مسؤول..اتفقنا؟

: هلتزم متقلقش

: التفاصيل في الريسبشن..معاد العملية والمطلوب قبلها وبعدها ولو محتاجة تسألي على حاجة اسألهم.. نورتِ.

fb/mashro3pdf

(٢)

على سرير الجراحة تمددت، وفي عقلها مرت كل الذكريات، المفرح منها والمؤلم..أخذت تعد المرات التي وقفت فيها أمام فتارين الملابس، تشاهد الموديلات الجديدة وكأنها تشاهد الفاكهة المحرمة.. عدد المرات التي خذلها فيها الحب..عدد المرات التي ضاعت فيها بين حب صديقة ما والغيرة منها حد الموت..عدد المرات التي اطلقت فيها نكتة ما لتخفي دمعة أو لتكسب ودًا.كل هذا سيمضي بلا رجعة، ستعود كما كانت أيام الطفولة، بنتًا رائعة الجمال شقراء بعيون ملونة وبشرة ناعمة، ترتدي أي شيء فتجعله أحلى مما هو عليه..ستعود كما كانت، طفلة تنظر للحياة كلها وكأنها حفنة من فرص السعادة التي لا تنتهي.

أغمضت عينيها، وراحت في غيبوبة طويلة بلا أحلام، لتفيق على أصواتهم، وجه أمها فزعا، وأخواتها يبكين، وألم في بطنها وكل جسدها لا يطاق.أرادت أن تقول كلمات تطمئن بها أمها، لكن لسانها خانها، أثقله المخدر فلم تنطق، وأشارت للممرضة أن تأتي بالطبيب، والذي أعطاها بدوره حقنة مسكنة، وطمأن والدتها ومضى..ليلتان وأيام ثلاث، قضتهن بالمشفى قبل أن تخرج للعالم مرة أخرى.وكان عليها بعد العودة

fb/mashro3pdf

للبيت أن تعيش بشكل مختلف، وأن تأكل بشكل مختلف، وأن تبحث عن شيء آخر تملأ به خواء روحها.قصت معدتها، واختصر الطبيب حجمها إلى النصف، ومن الصعب أن تأكل كما كانت تأكل فيما سبق.. ولكنها فرصتها الأخيرة لتحقق حلمًا طالما حلمت به ليل نهار.

مرت عدة شهور، قبل أن يبدأ جسدها في الظهور بشكله الجديد.

عملية أخرى أجرتها بعد عدة شهور، لتشد الجلد الزائد الذي ترهل، بعد أن أختفت الشحوم التي كانت تملؤه..وصارت بعدها إنسانة جديدة، شكلا وإحساسا، تسير بين الناس فينتابها شعور بالزهو والخوف، وتنظر لنفسها في المرآة، فترى إنسانة أخرى غيرها، بجسد رائع ووجه جميل وقلب متعب..كيف ستواجه العالم بهذا الجسد الجميل وهذا القلب المتعب؟ كان عليها أن تتمرن على كثير من الأشياء، قبل أن تخرج للعالم..فبعدما صار الناس يرونها جديرة بالحب والاهتمام، عليها أن تدرب نفسها على ألا ترتبك حين تحاصرها نظرات الإعجاب، وألا تتألم حين تغار منها صديقات العمر..عاشت بينهن عمرا وكأنها ليست موجودة، واليوم تلتفت الأعناق لتتابعها العيون أينما سارت..ليس من السهل العيش بجسد هكذا.

مر على آخر محادثة معه سبعة أشهر، صارت خلالها إنسانة

fb/mashro3pdf

أخرى،صار من حقها الآن أن تحلم بالحب وبالزواج وبالأطفال، وببيت تفرشه على ذوقها، ويوم لا تفعل فيه شيئا غير التسوق من كل محلات الملابس، التي طالما وقفت أمام فتارينها عاجزة ضائعة.

على برنامج المحادثة كان منتظرا كعادته، لم تغيره الشهور السبعة الفائتة، ولم يغيره غيابها غير المسبب..وبدلال وثقة كتبت - كيف حالك؟

- انتِ انتِ؟ ولا انتِ حد تاني؟

- هههههههههه

- رحتِ فين؟ دوختيني

- أنا هنا

- هنا فين

- عادي

- عادي!!

- المهم انت بخير

- لازم اشوفك لازم اقعد معاكِ لازم نتكلم عن كل حاجه

- ماشي

- هشوفك! طب أمتى؟

- وقت ما تحب

fb/mashro3pdf

(٣)

ارتدت فستانا ورديا بأكمام واسعة، وحزام بني وضعته عند الخصر، وإيشارب أبيض من الشيفون..الكحل حول عينيها الملونتين جعلهما أكثر سحرا، وبثقة كانت تخطو داخل الكافيه، تتابعها العيون. أما هي، فكان قلبها طائرا من نشوة الانتصار..ثم، وفجأة، وقفت حائرة..أخبرته أنها سترتدي فستان وردي وإيشارب أبيض، ونسيت أن تسأله عما سيرتدي، أو كيف ستتعرف عليه.

وفاتها أيضا شيئا مهمّا آخر..فاتها أنها لم تعرفه أبدا..لم تتعرف على شكله، أو كيف طبعه..كانت مشغولة طوال الوقت بالخوف من نفسها، ومن الحياة، ومن جسدها..لم تفكر كيف هو وهل هو من تريده حقا لنفسها أم لا..هي لم تسأل نفسها أصلا عما تريده، أوعما تحلم بأن تجده في زوج المستقبل..كانت وكأن هذه الكيلوجرامات الزائدة جاثمة فوق عقلها لا جسدها، تعطل تدفق الأفكار إليه، تظل طوال الوقت مشغولة بكيف لها أن تتخلص من هذه الكيلوجرامات المتراكمة و بماذا عليها أن تأكل وما الذي عليها ألا تأكل، وما الذي أكلته وتؤنب نفسها لأنها أكلته..يا لها من حياة مزدحمة وعقل معطل..

fb/mashro3pdf

الآن، وقد صار ذهنها أكثر صفاء، وجسدها أكثر خفة، تفاجئها الأفكار، تهاجمها بقسوة أحيانا وأحيانا أخرى برفق، ولا تجد إجابات شافية.

وقفت حائرة، وقد بدأ الارتباك يفسد عليها ما كانت تشعر به من فرحة وزهو، جلست على أقرب طاولة وجدتها.ليس غريبا ولا جديدا عليها أن تجلس على طاولة وحيدة.أخذت تتلفت، فلم تجد من ينتظرها..من باب الكافية اندفع هذا الشاب الذي يعاني من سمنة مفرطة، يجر جسده خلفه، ينهج من التعب ويتصبب عرقا..ذكرها مشهده المأساوي بما كانت تعاني، ولأول مرة ترى كيف كان يراها الآخرون (وأنا التي كانت تلومهم) هكذا همست لنفسها. بينها وبين نفسها حمدت الله أن أنقذها وصار هذا من الماضي، وها هي على أعتاب خطوتها الجديدة نحو مستقبل أكثر رحابة.

أخذ الشاب البدين يتلفت حوله في حيرة وقلق، ثم نظر إليها وابتسم.. تلفتت إلى الخلف ويمينا ويسارا، تتساءل لمن يبتسم.

قال – هبة؟!!

وهنا توقف الوقت، والدم في العروق، وشعرت بدوامة من الانفعال تدور داخلها، تتصاعد إلى رأسها، تتعرق يدها وجسدها كله، ويقف لسانها عاجزا، وكأنها أصيبت بشلل.

fb/mashro3pdf

ابتسم ابتسامة واسعة وقال: هبة؟!!

قالت بصوت متقطع - نعم

اتسعت ابتسامته أكثر وقال - أنا هشام

- هشام!

- أيوه!! وماتوقعتش تكوني جميلة كده، من كتر ما هربتِ من أني أشوفك توقعت أنك تكوني بنت مش جميلة أو زي حالاتي، وبيني وبينك كان نفسي تبقي كده فعلا عشان مااخسركيش..على فكرة بيعملوا هنا أيس كريم بالكراميل تحفة... القعدة هنا مش حلوة تعالي هناك.

وبثقة غريبة مضى إلى الطاولة، ومشت هي خلفه كالمنومة مغناطيسيا، وشعرت فجأة وكأن عقلها خواء..لم تتعلم من قبل أن ترفض هي أحد أو أن تقول لا (لا يناسبني) وإنما عاشت طوال عمرها وهي تهرب من أن يرفضها الناس، وشتان بين الاثنين..أدركت فجاة أنه سيتعين عليها أن تجري عملية جراحية أصعب لأفكارها ولمعتقداتها، ولشعورها تجاه نفسها والحياة، قبل أن تتمكن من قول أريد هذا ولا أريد ذاك.

جلست أمامه على الطاولة دون أن تنطق بكلمة، بينما انبرى هو يحكي حكايات لا نهاية لها..أخذت تفكر وتسأل نفسها: هل عليَّ فعلا أن أقبله؟ ولماذا عليَّ أن أقبله بينما رفضني الجميع عندما كنت مثله؟..

fb/mashro3pdf

لا أعرفه، ولا هو يعرفني، ترى ما الذي جمعنا معا؟..لا شك أنه الحرمان ذاته..ولكني اجتهدت لأخرج من هذه الدائرة، بينما يبدو هو لي مستقر سعيد ولا يهتم ولا يلقي بالا لما كنت أنا منشغلة به ليل نهار، ولا يؤجل حياته لأي سبب.وهل أنفقت كل ما أنفقت من مال ومن وقت وجهد لأجبر نفسي على الدوران في نفس ذاك الفلك..فلك المحرومين.

أخذ هشام يحكي بلا توقف، ويطلق النكات المرحة..يتحدث بانطلاق وثقة، يسخر من نفسه ومنها ومن كل شيء بخفة دم لا مثيل لها.طلب لها أيس كريم بالكراميل قائلا -حين أخبرته أنها لا تريد المجازفة، لأنها لم تجربه هنا قبل- عليك إعطاء كل شيء فرصته.

وضع النادل أمامها طبق (الأيس كريم بالكراميل)، وفاجأها طعمه المميز...وبينما كانت تستمع لحكايات هشام، أنهت طبق الأيس كريم حتى الملعقة الأخيرة.

fb/mashro3pdf

(شارع البَركة)

fb/mashro3pdf

رغم مرور السنوات، لا زالت الذكريات تعيش في قلبي محملة برائحة الفيشار والطعمية الساخنة، وبصوت عم جورج وهو ينادي على خضرواته الطازجة، وبرائحة زهور البرتقال أيام الربيع، وبصوت صباح وهي تنادي "خضرة خضرة"..تلك الأيام حين كان دكان عم سعيد - بالرغم من ضيق مساحته وبساطة تكوينه- معلما رئيسيا من معالم الشارع..حين كان لكل شيء قيمته الحقيقية، ولكل شيء نكهته الخاصة وطعمه الفريد..الأصوات، الأحداث، الكلمات، الروائح.

كان لكل فرد من أهل شارعنا معتقداته وأفكاره وطريقته الخاصة في إدارة الأمور، ولكنهم جميعا - وبلا شك- كانوا على باب الله.

العاصي منهم والمطيع، الغني والفقير، المسلم والمسيحي.. كل واحد منهم رغم كل شيء وجد طريقته التي وقف بها على باب الله، منتظرا لمعجزته الخاصة..أما أنا، فكنت أتابع الجميع بشغف بالغ، أسمع حكايات الشارع، القديم منها والجديد، فأتتبع بقلبي ما قد تفعله الدنيا بالناس، وما قد يفعله الناس بالدنيا، تتجلى في عقلي

fb/mashro3pdf

وأنا أتابع الحكايات معان كثيرة، خلاصتها أن الحياة رحلة ونهايتها حتمية..البعض ذهب، والبعض لا زال ينتظر، والبعض الآخر يهرب من الانتظار، والكل لن ينفعه إلا ما قدمت يداه من إحسان، ولن يضره إلا ما قدمت من أذى، كل ما نراه على وجه الدنيا ما هو إلا زينة لها حتى تكتمل فصول حكاية كل منا، كما قُدر لها أن تكون.

fb/mashro3pdf

(١)
قوت القلوب

لم ير شارعنا على مدى سنوات عدة من هي في جمال الست قوت القلوب..كانت، بعينيها الخضراوين وبشرتها شديدة البياض وشعرها البني وقوامها شديد الأنوثة الممتلئ باعتدال، مثالا للجمال المحض، والذي لا يختلف عليه اثنان.قد يعجب البعض بهذا النوع من الجمال، وقد يراها البعض كالحة البياض مخيفة النظرات، ولكن لن يستطيع أي من كان أن ينكر عليها صفة الجمال الباهر.لم يكن ذلك الجمال بالضرورة مصدر فرح دائم لها، ولكنه كان في أغلب الأحوال وبالا عليها، وسببا عظيما لمشاكل عدة..تسبب ذلك الجمال في بداية الأمر بحرمانها من التعليم وزواجها المبكر..رآها توفيق ابن الحاج بركات وهي في طريقها إلى المدرسة، فأعجبه جمالها وصغر سنها وأنوثتها المبكرة، وأعجبته فكرة الزواج من فتاة صغيرة السن، مما يضمن له سلامة أخلاقها وعدم مرورها في الحياة بما قد يعكر صفو براءتها ويثير شكوكه أو غيرته.وأيضا، قد يتيح له صغر سنها سهولة في تشكيل

fb/mashro3pdf

طباعها، بما يناسب طباعه ومزاجه الخاص.فتقدم لطلب يدها، بالرغم من معارضة والدته الست فتحية، والتي كانت ترى أنه بحسبه ونسبه وجاهه وشهادته الجامعية جدير بمن هي أفضل.ولكنه أصر على رأيه، وأتم زواجه منها، فعزت هي ذلك إلى معرفة والدة الست قوت القلوب بأعمال السحر!..

في بداية السبعينات، وفي مسكن أنيق ذي أثاث فاخر وتجهيزات حديثة لم تكن متاحة لكثير من الناس في ذلك الوقت، تزوجت الست قوت القلوب من توفيق..كان مسكنهما يشغل الدور العلوي لنفس البيت الذي يسكنه أهل توفيق (والده ووالدته والأخت الصغرى (سعاد)، والتي كانت تكبر قوت القلوب بأربع سنوات)..ومن اليوم الأول لزواجهما، بدأت سلسلة من المتاعب لم تنتهِ حتى وقت طويل.. فقد أحب توفيق عروسه الصغيرة حبا عظيما، واستطاعت هي أن تجعله مرتبطا بها وبوجودها طيلة الوقت، مستعينة على ذلك بذكاء أنثوي حاد، وطول بال وصبر لم أر لهما مثيلا في حياتي.وكانت دائما مستعدة للقيام بأي شيء، وتقديم أي تنازل لإنجاح ذلك الزواج.

أثار ذلك غيرة والدته، وجعلها تصر على رأيها في أن ذلك الزواج ما حدث إلا نتيجة لعمل من أعمال السحر، الذي دبرته والدة قوت

fb/mashro3pdf

القلوب؛ وإلا فلما يرضى توفيق ذو الصولات والجوالات في عالم النساء، وهو ابن الأكابر، بتلك الفتاة عديمة الأصل؟!

وللحق، لم يكن هناك أي تفوق حقيقي لعائلة توفيق على عائلة قوت القلوب، اللهم إلا ذلك الذي كان في خيال الحاجة فتحية. فوالد قوت القلوب الحاج راضي كان تاجرًا للقماش، من أسرة عريقة، ولديه أيضا قطعة أرض كبيرة، تقع في إحدى القرى القريبة، ورثها عن أمه، يديرها أخواله وأولادهم، ويرسلون إليه إيرادها سنويا، فكان بذلك على قدر من الثراء لا بأس به؛ لا يضاهي بالطبع ثراء الحاج بركات، ولكن الفرق بين العائلتين لم يكن كافيا أبدا لإطلاق لقب (عديمة الأصل) على قوت القلوب.

لم يمنع الست فتحية شيء من تشكيل جبهة حربية ضد قوت القلوب، وبدأ الأمر باصطياد الأخطاء الصغيرة لها، وتأنيبها على كل كبيرة وصغيرة، وتقريعها بكلمات قاسية بسبب وبدون سبب، حتى وصل إلى السب والشتم في نهاية الأمر.

واستقبلت قوت القلوب كل ذلك بهدوء أعصاب عجيب، وغطاء من البرود لا مثيل له، أعطى عنها انطباعا كاذبا بالبلادة وقلة الإحساس، مما أثار حنق الحاجه فتحية أكثر فأكثر. وزاد من الطين بلة، تأخر حمل

fb/mashro3pdf

قوت القلوب، وحالات الإجهاض المتكرر الذي تعرضت لها..

وبدأ توفيق في رفع صوته على أمه، ليمنعها من إثارة المتاعب، وهددها أنه لن يتحمل الحياة هكذا، وإنه، إن لم تتوقف، ربما استأجر شقة بعيدة وانتقل إليها، أو حتى أنه قد يسافر إلى الخليج هو وزوجته، ليتخلص منها ومن هذا النكد المتواصل.

كان كلام توفيق هذا سبب في تعرض قوت القلوب لمزيد من سوء المعاملة والإهانة.فقد حملتها الحاجة فتحية مسؤولية ما فعل توفيق، وحملتها مسؤولية رغبته في ترك البيت، وقالت لها ذات يوم: سأظل وراءك حتى تخرجي من هذا البيت الذي لا تستحقين العيش فيه، وعما قريب سأطردك شر طردة، وأزوج توفيق بمن هي أفضل منك.

قالت قوت القلوب: لا يعلم الغيب إلا الله

و لم يتثن لها أن تعرف السر الذي يكمن خلف كل هذا البغض، الذي تكنه لها فتحية، لا وقتها ولا بعد ذلك أبدا.

وكل هذا جانب واحد من معاناة قوت القلوب.أما الجانب الآخر، فكان أكثر إيلاما وأقوى تأثيرا، فتوفيق -رغم حبه لزوجته- إلا أنه كان عاشقا أصيلا لكل أنواع الجمال الأنثوي، لا تفوته شاردة ولا واردة، ولا تستطيع نظراته إخفاء ذلك الشغف اللامتناهي بالنساء. فبلغ الألم

fb/mashro3pdf

بقوت القلوب مداه، وتعاظم بداخلها حجم المعاناة، مصيبا روحها بشيخوخة لا تتناسب وسنها الصغير.وضاقت بها الدنيا، وزاد من ألمها أن توفيق -وبعد خلافه الحاد مع والدته- بدأ في التغيب عن البيت كثيرا..وبدا وكأن الست فتحية قد نجحت في مسعاها أخيرا، وبدأ ذكر الطلاق في أكثر من مناسبة، حتى رأت قوت القلوب تلك الرؤيا

(رأت نفسها في باخرة كبيرة..تشق الباخرة البحر شقا..الست فتحية تقف عند الشاطئ..ومع ابتعاد الباخرة عن الشاطئ تختفي فتحية عن الأعين..وفي وسط البحر، وبعد أن ابتعدت السفينة في وسط المياه كثيرا، نظرت قوت القلوب، لتجد في يدها لفافة ورقية، فتحتها لتجد بها خاتمًا من الفضة).

استيقظت قوت القلوب ورائحة البحر تملأ أنفاسها..وكان لابد لها من أن تبحث عن تفسير لرؤياها، وهبت تبحث عمن يفسرها لها، ولكن بحذر، حتى لا تستثير غضب حماتها.

ولم يكن هناك من هي أقدر على تقديم المساعدة وكتمان السر خيرًا من الحاجة «صِدِّيقة» جارتها العجوز، والتي قالت: سيرزقك الله بالولد، ولكن ليس في هذا البيت، ولا هذه البلد.

بكت قوت القلوب، ظنا منها أنها عرفت المصير الذي ينتظرها.

fb/mashro3pdf

ولكن كان ما حدث في ذلك اليوم هو القشة التي قسمت ظهر البعير، وطوق النجاة الذي خلص قوت القلوب من معاناتها..كان الحاج بركات متخذا للحياد طوال الوقت، يحاول تهدئة زوجته قدر الإمكان، ولكنه في الوقت ذاته لا يشكل رادعا كافيا لها.وفي ذلك اليوم، اختفى بعض المال من حجرته، وظل يبحث عنه ليوم كامل فلم يجده، وطاب لزوجته أن تتهم قوت القلوب.وجاءت بتوفيق وبزوجته وقالت: تحملنا كل شيء، إلا داء السرقة..هذا الذي لا يحتمل.

قال توفيق: كيف تتهمينها بدون دليل؟

قالت والدته: أنا وأبوك وأنت، من سيسرق مال أبوك؟! أنا؟! إن لم تترك هذه البنت البيت حالا، لن تكون ابنا لي ولن أعرفك.

حاول الحاج بركات التدخل، ولكنه اصطدم بحائط أصم من الغضب، فسكت.

قال توفيق لزوجته، اجمعي ملابسك وتوكلي على بيت أهلك، وغمز بعينيه، فنظرت له قوت القلوب وظلت متسمرة في مكانها، لا تفهم كيف يطردها ويغمز بعينيه..فغمز مرة أخرى وقال: قلت اصعدي إلى شقتك لتجمعي ملابسك.هنا فهمت قوت القلوب أن عليها -ومهما كان ما يقصده توفيق- أن تجمع ملابسها، ولتذهب لبيت أهلها.

fb/mashro3pdf

وهكذا، بيت توفيق النية لترك بيّت أبيه، ولكن بشكل سريٍّ، حتى لا يمنعه أحد، أو يحاول مراجعته في قراره أحد.

بعدها بشهر أو أكثر قليلا، كان توفيق قد حصل على عقد عمل بالخليج، فسافر وفاجأ الجميع، ولحقت به قوت القلوب..وهناك رزقه الله من عمله الجديد رزقا واسعا، وأنجبت قوت القلوب أول أبنائها في عامهم الأول في السعودية، وعاشا هناك اثني عشر عاما، أنجبت فيها باقي أبنائها الستة بالتتابع، ولم تعد إلى مصر إلا بعد وفاة الحاج والحاجة، وزواج سعاد وتركها للبيت.كل هذه الحكايات تحكيها قوت القلوب كلما جاءت لزيارتنا.لم أحضر أنا منها إلا الفصل الأخير، وهو فصل العودة إلى الوطن.أنظر إليها وهي تحكي عن معاناتها مع حماتها ومع توفيق ومع تأخر الإنجاب، وأنظر كيف تبدل بها الحال وقد صار البيت كله لها، تنطلق فيه يمينا ويسارا هي وأولادها الستة، لا يمنعها أحد.أما توفيق، فقد أصبح منخرطا في إدارة الأعمال التي تركها له والده ليل نهار، ولم يعد لديه الوقت أو الرغبة في النظر لهذه أو تلك. وأتعجب من تصاريف القدر.

fb/mashro3pdf

(٢)
الحاجة صِدِّيقة

أحببت الحاجة صديقة منذ لقائنا الأول.ورغم صغر سني، لم يُخفني جلبابها الأسود، ولا تلك التجاعيد التي ظللت وجهها النحيل.. شعرت وكأنها نفذت إلى أعماقي، لتستقر ذكراها في قلبي، تاركة أثرا لا ينتهي..أحاطت بها على الدوام هالة من الوقار والحب..وكانت بحق (ست بركة).

في بدايات القرن العشرين، وفي بيت ريفي صغير، يقع على ضفاف فرع ضئيل من فروع النيل، ولدت الحاجة صديقة لأب صعيدي الأصل والنزعة..وكانت صديقة الابنة الثالثة على التوالي، فتسبب مولدها في إلقاء جو من الوجوم على البيت كله، ما لبث أن انقلب إلى غضب مكتوم ونفور من جانب الأب، وبكاء ونواح وندب على قلة البخت من جانب الأم، ولم يتقبلها أحد بحب أو حنان حقيقيين، سوى الست «ورد» جدتها لأبيها، احتضنتها بحنان قائلة: البنات بركة وخلفتهن رزق.

كانت الست ورد سيدة الطب الشعبي ولا منازع، تتقن فنونه

fb/mashro3pdf

ووصفاته التي لا تنتهي، تملك أسراره بين يديها وكأنها ساحرة طيبة، لا ينقطع سيل الزيارات عن حجرتها الصغيرة، ولا تنفك النساء عن التداوي بوصفاتها التي لا تخيب أبدا

وبغريزة يقظة وشغف حقيقي، تابعت صِدِّيقة جدتها، وتشربت علومها، وأظهرت نبوغًا لا بأس به، ولكنه لم يكن ليضاهي نبوغ جدتها.وعلى أية حال، فقد مكنها ما استوعبته من علوم وأسرار من خلق مكانة لنفسها بين أفراد أسرتها، ما كانت لتبلغها لولا ما تعلمته من جدتها.

وكانت بجسدها النحيل كجسد طفلة، وبشرتها السمراء وعينيها الذابلتين، أقل أخواتها حظا في الجمال، لذا تأخر زواجها كثيرا، وقاربت سن العنوسة بمقاييس هذا الزمان، حتى طلبتها الست فوزية لأخيها الحاج سعد رضوان، أرمل ولديه بنتان في سن الشباب، وبنت تضاهيها سنا.

فقالت الست نعمة والدة صديقة بنبرة لا تخلو من أسى: إنها في سن ابنته

وقال المعلم حسين والدها بحزم: لا يعيب الرجل شيئا، وابنتك ليست صغيرة؛ على بركة الله.

fb/mashro3pdf

وهكذا انتقلت الحاجة صديقة من بيت والدها في أطراف المدينة إلى شارعنا.ويحكي أهل الشارع - من حضر منهم ذلك الزمن- أن العروس بدت في بادئ الأمر عروسًا رقيقة الحال محدودة الجمال ثقيلة الظل، ولم يحبها أحد..ولكن سرعان ما ذاع صيتها بين النساء، وعُرفت بأنها الخبيرة بفنون الطب الشعبي، الضليعة في تفسير الأحلام..وصفاتها لا تخيب أبدا، وتجيد العلاج بكاسات الهواء، ولبخاتها لا مثيل لها

وكانت -رغم حداثة عهدها بالحياة- تتمتع برزانة ورجاحة عقل لم تتوفر لدى غيرها كثيرات، فتعلق أهل الشارع بوجودها، وأحبوها والتفوا حولها، كما تعلق الحاج سعد رضوان بها، وملكت عليه قلبه وجوارحه، لا يعقد أمرا دون مشورتها، ولا يحل عقدا دون الرجوع إليها.وبدا وكأن الحياة قد أعطت صديقة حقها في النهاية، وكأن الحياة ابتسمت أخيرا..ولكن للأسف لم تنتهِ متاعبها عند هذا الحد.

ففي انتظار الذرية تعذبت صديقة كثيرا..تأخر حملها شهورا طويلة، فهمّت تبحث عن سبل العلاج، متعلقة بأمل قوي، ومدفوعة برغبة حقيقية في الإنجاب. هكذا حلمت دائما..أسرة كبيرة بها خمسة من البنين وبنت واحدة..ولكن مرت السنوات ولم يحدث شيء، ولم تفلح كل وصفات

fb/mashro3pdf

جدتها الموروثة المعروف عنها أنها أكيدة في علاجها.

ورضي زوجها بما لديه من ذرية، ولم يفكر في الزواج من غيرها.

ولكنها لم تتحمل فكرة الوحدة حتى نهاية العمر، وظلت تبحث عن سبيل؛ أي سبيل

لم يخطر في بال صديقة يوما أنها ستكون مثل تلكن النسوة اللاتي كن يزرن جدتها طالبات التداوي من العقم. كانت ترى معاناتهن وألمهن وبحثهن الذي لا ينقطع عن أي بارقة أمل، قريبة كانت أو بعيدة، وتتألم لهن..ولم تتخيل يوما أنها ستصبح مثلهن. سنوات طويلة مرت، قبل أن تعلن الست صديقة استسلامها..فوضت أمرها إلى الله، ورضيت بما قسمه لها الله، وتشاغلت عن همها بخدمة من تستطيع من أهل الشارع وعلاجهم بالطب الشعبي، صابرة على قضاء الله..

ولكنه ظهر في حياتها فجأة..قابلته في تلك الليلة الشتوية..وكان وكأنه هدية الله لها جزاء لصبرها ورضاها ولروحها البشوشة.

كانت ليلة ممطرة شديدة البرودة، ذهب الجميع إلى فراشهم مبكرين، وخلا الشارع من ألوان الحياة التي يضج بها طيلة النهار..أما هي، فوقفت في شرفتها تدعو ربها وتبتهل إليه، كما علمتها جدتها أن تدعو حين هطول المطر. حين رأته وهو يتعثر في المطر، يبكي وحيدا،

fb/mashro3pdf

وقد ابتل تماما ويرتعش جسده من البرد.لم تفكر وهي تندفع خارجة لتلحق به.. كان في الثالثة من عمره، ولدًا صغيرًا لا يستطيع تركيب جملة واحدة.خرج من بيته بلا هدف، وضل الطريق.وفي هذه الليلة الممطرة، ألقته قدماه هنا أمام بيتها.يا لوعة قلب أمه، ويا لترتيب القدر.. شهور طويلة والحاج رضوان يبحث عن أهل الصبي ولم يجدهم.. فكان هدية السماء لها.وحين سألها الحاج رضوان: ماذا ستسمينه

ابتسمت قائلة: إنه سيد قلبي: سأسميه سيد.

fb/mashro3pdf

(٣)
سيد رضوان

بقامته الطويلة، وقوامه الممتليء باعتدال، وقسمات وجهه الرجولية التي لا تخلو من وسامة، وبجلبابه داكن اللون ذي الأكمام الواسعة، ولاسته الحريرية صيفا الصوفية شتاء، يبدو وكأنه (معلم في سوق الخضار) فر لتوه من أفلام الأبيض والأسود الستينية.يقف كل(مغربية) أمام دكانه مزهوا، وكأنه صاحب الشارع وسيده، صوته الأجش يكمل الصورة، فيخرج مجلجلا يهز الشارع، وكأن تاريخه ليس مملوءً بالثغرات، وكأن الناس لا تخوض في سيرته بين الحين والآخر متسائلين عن أصله وفصله وحقيقة نسبه.

كان وجوده فقط، وفي حد ذاته، حدثا مثيرا للجدل..أينما ذكر اسمه كثر الحكي والتكهنات.وتوقع كل أهل شارعنا أن ينتهي أمره، بعد ذلك اليوم الذي وقفت فيه أخته الكبري (الست بهجة) تحت شرفة بيته، تصرخ وتولول كاشفة وسط هذيانها عن فصول المأساة كاملة، فاضحة تاريخًا لم يكن ليعرف عنه شيئا، لا هو ولا كثير من أهل شارعنا.

fb/mashro3pdf

عاش (سيد) الطفل الصغير في كنف الحاج رضوان، الذي استخرج له شهادة ميلاد تحمل اسمه، وضمه لبناته كأخ لهن، وتولت السيدة (صديقة) تربيته ورعايته، فكبر (سيد) لا يعرف لنفسه أبا ولا أما غيرهما، ولا يعرف لنفسه نسبا إلا لهما، ولم يطلعه أحدهما أبدا على الحقيقة.حتى صار شابا قويا ذكيا، تحمَّل مسؤولية تجارة والده، وقام بتوسيعها..ببر والديه وأخوته البنات، لا يقصر في حق قريب ولا بعيد..لذا، وقبل وفاة الحاج رضوان، أخطأ الرجل ذلك الخطأ الفادح، وقام بكتابة أملاكه كاملة لسيد، لا لشيء الا ليقوم سيد برعاية الأملاك دون تدخل من أزواج البنات، وعاهد سيد على أن يكرم كل بنت وأن يعطيها حقها من إيراد التجارة كاملا في نهاية كل عام، وكذلك فعل سيد ولم ينقطع.إلا أن (بهجة) الأخت الكبرى كان لها رأيًا آخر. كانت تريد أملاكها كاملة..لا تحب سيد، وتغار منه ومن مكانته في الأسرة، وكانت قبل وفاة والدها هي الوحيدة بين أخواتها التي تحب سرد حقيقة نسب سيد بين الحين والآخر، ومنعها أبوها من التمادي في ذلك، وحذرها من الإشارة للأمر من قريب أو بعيد، فكانت تغير من كونه الابن المفضل على حسابها، وهي الابنة بالدم بينما هو متبنى. وكان ما فعله الحاج رضوان بكتابة الأملاك لسيد هو القشة الأخيرة التي

fb/mashro3pdf

أثارتها، فظلت تكظم غيظها عاما بعد عام، حتى فقدت أعصابها في ذلك اليوم، ووقفت تحت الشرفة وقت سكون القيلولة، تصيح وتهلل وتنثر حكايات عن الابن المتبني وصديقة التي جاءت به من الشارع، وصديقة التي جاء بها الحاج رضوان من الشارع، وعن الأملاك والميراث، والملاليم التي ترمى لها لتلتزم الصمت عن حقها.

وقف أهل الشارع مبهوتين، وذابت الحاجة صديقة في نفسها، وجلس سيد على الكنبة الأقرب للشرفة، يستمع لفصول الحكاية وهي تُسرد على آذانه للمرة الأولى، ويبكي ولا يتكلم، وفهم للمرة الأولى لما رفضه الحاج بركات والد سعاد، حب عمره ورفيقة طفولته، دون إبداء أسباب، وهو الصديق الصدوق للحاج رضوان.

ظل لعدة أيام حبيس بيته، وظن الناس أنه لن يعود كما كان. ولكنه، بقوة وثبات ورثهما عن الحاج رضوان وكأنه ابن له بالدم، خرج على الناس بثقة، فأولم وليمة كبيرة، دعا لها أخوته البنات وأزواجهن وأطفالهن، ونصب سرادقا مد فيه الفرش، وجاء بالجزار والطباخ فأطعم أهل الشارع وأهل السبيل والمساكين اللحم المسلوق والسريد أياما ثلاث، رحمة على روح الحاج رضوان. وقام بتوزيع تركة أبيه على إخوته البنات كاملة، واكتفي هو بإدارة نصيب الحاجة صديقة، والإقامه

fb/mashro3pdf

معها هو وزوجته واطفاله في نصيبها من البيت.

أسندت البنات إليه إدارة أعمالهن، عدا (بهجة)، وكان ما حدث هو نهاية علاقتها به حتى مات.

ظل الحاج سيد رضوان كعمود من أعمدة شارعنا القوية، وكبير للشارع رغم أنف الجميع..يشكل بهيئته وطبعه وسخائه صورة تاريخية لابن البلد ميسور الحال الكريم المحب للجميع، يغار منه البعض ويلوك سيرته البعض، ويحبه البعض الآخر، ولا أحد ينكر عليه كرم الأصل و(المجدعة).

fb/mashro3pdf

(٤)
سعاد

لوكان للدلال وللأنوثة الطاغية اسم، فسعاد هي الاسم والعنوان. كل ما فيها كان يحكي حكاية طويلة عن الجمال والدلال، تمشي في الشارع بدلال وثقة تليق بابنة وحيدة لأكثر أهل شارعنا ثراء (الحاج بركات)..فتذوب قلوب المحبين، وتبدو كأميرة في قصر عال، لا يليق بالاقتراب منها إلا أمير.

كانت طفلة ساحرة، تقف بشعرها الأسود الطويل المنسدل على كتفيها وفستانها المنفوش وشرابها الطويل الأبيض وحذائها الأسود، فتخطف أنفاس (سيد رضوان) وتلهو المشاعر بقلبه.حب بدأ منذ الطفولة، ومضى الزمن لا يغير فيه شيئا، بل يزيد، تخفيه القلوب وتفضح العيون ما تخفيه الصدور.حين بلغت سعاد عامها الرابع عشر، تقدم سيد لخطبتها، وكله ثقة بأنها له..وما الذي يمنع؟!..لم يفهم هو ولم تفهم هي لماذا رفضه والدها ولم يقبل به، وهو الصديق الصدوق لوالده الحاج رضوان..فيما بعد اتضح كل شيء، ولكن في حينه كان

fb/mashro3pdf

الجرح لا يطاق.

قبل كلاهما بالأمر الواقع واستسلم لمصيره..تزوج سيد من فتاة جميلة من عائلة متواضعة، وتزوجت سعاد من ابن تاجر كبير يسكن بالقاهرة، وانتقلت للحياة هناك.عاشت وأنجبت وصارت إمراة جميلة، يظهر الثراء عليها وعلى أولادها، تأتي لزيارة أهلها كل شهر فتقيم بينهم عدة أيام، فيطغى سحر وجودها على الجميع.كانت سعاد قليلة الكلام، لا تختلط كثيرا بأهل الشارع، تزورهم في المناسبات والاحتفالات أو للعزاء ولا أكثر..يتهمها الناس بالكبر، وربما كانت كذلك، ولكني كنت أنظر إليها ولشعرها الأسود الفاحم المنسدل على كتفيها، وأسمع صوتها الذي يخرج ناعما، فيبهرني ذلك السحر، الكامن من الأصل في كبريائها وتعاليها.

توفي زوجها بعد أن كبر الأولاد، فعادت للعيش في بيت والديها وحيدة هي وأبنائها.كان من الصعب عليها تفهم أن البيت صار كله لتوفيق ولزوجته وأولاده، وأن نصيبها لا يتعدى الشقة التي تسكنها وشيئا آخر يسيرا..كانت تحب أخيها حبا كبيرا، لذا حاولت قدر استطاعتها إخفاء غيرتها منه وكرهها الموروث لزوجته الباردة كالحة البياض (هكذا كانت تصفها)..ظلت العلاقة كالبركان الكامن تحت قشرة رقيقة من المودة

fb/mashro3pdf

والحب الأخوي الهش، والمراعاة للأصول والواجب.

ولكن حين كبر الأولاد وزادت طلباتهم، وبدأ ما تركه والدهم من مال وفير في النفاد، بدأت سعاد تطالب أخاها بما لها من إيرادات ومبالغ مالية، كان توفيق -ولسبب ما- يتجاهل تسديدها.وهنا بدأت الخلافات، وتطورت على مر الأيام والشهور والسنوات، وبمرور الوقت كانت خيوط المودة تنقطع.وكانت تلك القشرة الهشة التي تخفي كل مشاعر الغيرة والحنق تتكسر، حتى وصلت العلاقة لأسوأ ما يكون، وانقطع الأخوة عن الكلام أو السلام، وانفصل كل منهما ماديا انفصالا كاملا، وباعت سعاد نصيبها في البيت لغريب، وانتقلت للعيش في مكان آخر..

تركت البيت والشارع والأهل والأصدقاء وانعزلت بإرادتها، ثم بعد ذلك أصابها الندم لما فعلت، ولكن الكبر -وهو داء الإنسان الأصعب- منعها من مراضاة أخيها أو الاعتراف بأنها بالغت في الأمر، فمرت السنوات دون أن يتصالحا، فزاد الجدار الذي بُني بينهما سماكة وطولا.

fb/mashro3pdf

(٥)
صباح

بجلبابها الواسع الملون، كانت تقف كل صباح تبيع البقدونس الطازج، تحمله من تلك القرية التي تبعد عن مدينتنا ساعة أو يزيد، لتبيعه أسفل شرفتي.

ليس للجمال هنا مقاييس محددة أو تعريف واضح..هي جميلة بلا مقاييس ولا تعاريف..بشرتها السمراء اللامعة النابضة بالحياة وسحر الصبا، قوامها المنحوت الممتلئ قليلا، وصوتها العذب هم أصل الجمال وفروعه.

بصوتها العذب تنادي (خضرة.خضرة) فتذوب القلوب..وتتابعها العيون وهي بدلال لا تهتم.يدور حولها الشباب في صمت، ولا يجرؤ أحدهم على الاقتراب.وبمرور الأيام تزداد إشراقا وسحرا، وتكثر حولها القلوب الملهوفة.

تصاحبها أمها التي يكاد نظرها أن يذهب، ولا تتركها أبدا.وكيف تتركها، وهي مصدر رزقها الوحيد؟..أخوتها صغار، صبيّان وبنت،

fb/mashro3pdf

أكبرهم في التاسعة، والأب اختفى، ذات يوم خرج ولم يعد، ولم يعرف أحد سبب اختفائه أبدا.ربما مل من المسؤلية، ربما تعرض لحادث، أو ربما سافر لدولة أخرى هربا من كل شيء.وبعد اختفائه، عملت أم صباح خبَّازة، تخبز لأهل القرية.أعوام قليلة، حتى ذهبت نار الفرن بنور عينيها، وصار بينها وبين العمى الكامل قليل من بصر يعافر ليبقي.فأخرجت (صباح) من التعليم، واصطحبتها لتبيعا معا البقدونس الطازج تحت شرفتي.

رأيت صباح للمرة الأولى حين كانت في التاسعة أو أكبر قليلا. الآن كبرت (صباح) وصارت عروسا تحرك القلوب، ويدير جمالها الرؤوس، وكلما جاءها خاطب تعللت والدتها بصغر سنها.

حتى كان ذلك اليوم الذي ظهر هو فيه.وافد جديد، يجر عربة الخضار ليبيع بضاعته الطازجة، واختار لنفسه مكانا قريبا منهما، واخترق بجهل أو عن عمد تلك الدائرة المقدسة التي كانت تحيط نفسها بها، واستقر ليصير ذلك مكانه الذي يقف فيه كل صباح، ليبيع الخضار، ويغيظ بوجوده أم صباح.

هل للحب رائحة؟ هل يرى أو يشم؟.لم يكن أحدهما ينظر إلى الآخر (صباح والوافد الجديد) كان تعاملهما معا نادرا جدا،

fb/mashro3pdf

وجافا جـدا..لا أحاديث، ولا اختلاق لأسباب ليتعاملا معا، ولا حتى نظرات خاطفة.هي في حالها، لم يتغير شيء من سلوكها، وهو بجديته وانشغاله الدائم، ولم يتغير شيء..ولكنهما - بالنسبة لي على الأقل- كانا مفضوحين جدا.هو واقع في غرامها حتى أخمص قدميه، وهي تعرف وتفكر طيلة الوقت في اليوم الذي ستتزوجه فيه، وتترك أمها وإخوتها والسوق والبقدونس والمكان تحت شرفتي.تحلم بذلك اليوم، وتنظر كل بضع دقائق لأمها، وتتساءل بينها وبين نفسها كيف سيكون ذلك، وكيف ستعيش أمها وإخوتها بدونها، ولاتشك في أنه يبادلها المشاعر..هي فقط تفكر متى وكيف سيكون ذلك.

تمر الأيام بلا استئذان، وتتغير الفصول والأحوال..كذلك تبدل حال صباح، ولم تعد هي نفس الصبية بهية الجمال منحوتة القد..شيء ما في عينيها انطفأ، لم يعد قدها منحوتا، ولا سمارها لامعا كما كانت... صارت مجرد فتاة عادية، بها بعض من ملاحة، تقف لتبيع البقدونس.. كلمات تتناثر هنا وهناك، عن طلب الوافد الجديد للزواج منها، وعن رفض أم صباح.

ذات صباح، راحت صباح واختفت..استيقظنا على نواح أمها وصراخها (راحت ابنتي راحت)..فرت البنت من بيت أمها بصحبة

fb/mashro3pdf

الوافد الجديد، والذي تقدم لخطبتها أكثر من مرة، وفي كل مرة كانت أمها ترفض متعللة بصغر سن ابنتها، وفي حقيقة الأمر كانت الأم تهرب من فقدان ابنتها بالزواج، تريد أن تتشبث بها حتى آخر لحظة ممكنة، وتتعلل بمئات الحجج..تقول: كنت أحلم لابنتي بعيشة أخرى غير التي عشتها أنا..أريد لها زيجة تنتشلها من ذات المصير الذي عشته أنا.. أحلم بشاب متعلم من عائلة محترمة، يتزوج ابنتي ويعفيها من الحياة على الطريق تبيع الخضار.وأيامها تمضي، وكلها حجج واهية، لتجد لنفسها مبررًا حتى لا تزوجها، فتحتفظ بها إلى جوارها قدر استطاعتها.

ولكن البنت اختارت لنفسها غير ذلك..اختارت الحب ولا شيء غير الحب.صباح، التي كانت تقف لا تهزها نظرات الإعجاب ولا كلمات الإطراء، هزها الحب فتركت أمها وأحلامها وفرت..لتعود بعد عدة أعوام، تجر خلفها طفلين وعربة خضار، وزوج يفقد أعصابه لأتفه الأسباب.عادت لنفس المكان..تحت شرفتي تقف وتنادي، ولكن بصوت متعب وحزين (خضرة..خضرة).

fb/mashro3pdf

(٦)
جورج تاضروس

أتعبه كونه الأخ الأصغر المخطيء دائما، ففر من الحياة وسط أسرة لا تقدره، إلى صحبة تقيم لوجوده احتفالا.ولما لا يحتفلون بوجوده، وهو ابن العز صاحب الكرم، ينفق يمينا ويسارا على أصدقاء السوء وعلى مزاجهم.

كان جورج شاب في عامه الخامس والعشرين، وسيم، تذيب ضحكته الساحرة قلوب البنات، ويفتح له وجهه البشوش وروحه المرحه قلوب الناس..شاب منطلق، سعيد، محبوب من الجميع. صعيدي الأصل، ورث عن أبيه الذي قدم إلى الشارع في بدايات القرن العشرين (المجدعة) وحب الناس، وتجارة كبيرة وأخ أكبر يعامله على أنه طفل صغير لا يعرف صالحه، فيسيطر على التجارة كلها، ولا يشركه في شيء؛ يلقي إليه بعض الأموال في مطلع كل شهر، ولا يناقشه فيما كان الربح وفيما كانت الخسارة..مبلغ ثابت، لا يتغير بتغير حجم التجارة، التي كانت تزيد زيادة مطردة لا تتوقف..يجلس في البيت

fb/mashro3pdf

بالساعات بلا شغلة أو مشغلة، وليشغله أخوه بشيء زوجه من ابنة عمهما، الذي أنجبت له أربعة أطفال، بنت وثلاثة من الصبية.

مل جورج هذه الحياة الخاوية، وبدأ في البحث عن شيء يطرد به هذا الملل وهذا الشعور الثقيل بعدم الأهمية..فتعرف على (شلة الفرفشة)، وصار ينفق عليهم ببذخ ليحافظ على مكانته بينهم..ولم يعر تهديدات أخوه الأكبر اهتماما، حتى نفذ أخوه تهديده، وقطع عنه ما كان يعطيه من مال..و كان على جورج البحث عن سبيل لايجاد مال ينفق منه على إدمانه الذي سيطر عليه، فانطلق كالمجنون يسأل من كان ينفق عليهم أمواله بلا حساب من أصحابه، فلم يعره أحد منهم اهتماما، بينما عرض عليه أحدهم (شغلانة) بسيطة ولكنها تدر دخلا كبيرا..فقط عليه أن يحمل حقيبة صغيرة، يسلمها له أحدهم، ينقلها من مكان إلى مكان، ثم يستلم مقابل خدمته مبلغا محترما من المال، ولا شيء غير ذلك.

قبل (جورج)، ابن العائلة الكبيرة، بهذه المهمة، التي لم يكن ليقبل بها من قبل.وانساق مرغما في هذا الطريق الذي انزلقت فيه قدماه رغما عنه، حتى كان ما كان، فتغير كل شيء.

تم القبض على (جورج) متلبسا، وحكم عليه بسنوات طويلة من السجن..خرج بعدها إنسان آخر، لم يهده ما حدث أو يكسره، بل جعله

fb/mashro3pdf

أكثر قوة وصلابة وتماسكا.

خرج جورج من محبسه ولم يُضِع بعدها يوم واحد..كان وكأنه وضع خطة هناك..باع (مصاغ) زوجته، التي حفظت غيبته وانتظرته تربي أولادهما، وقام بشراء عربة خضار خشبية وبعض أقفاص من الخضروات الطازجة، ولم يمنعه كونه الفتى المدلل ابن العائلة الثرية، والذي كان ينفق دائما وبلا حساب..ولم يمنعه كلام الناس، ومصمصة شفاههم على حاله..بل انطلق بعربته الخشبية وصوته الجهور وروحه البشوشة، يبيع الخضار الطازج والفاكهة وكل أصناف الموسم، يقدم للناس بضاعة طازجة وسعر أقل من السوق..مع مرو الأيام والشهور، أصبحت العربة عربتين وثلاث، ثم محلا كبيرا يبيع بأسعار الجملة، ثم محلين..ولا يقوى أخوه على منافسته أو مجاراته.اشترى أرضا واسعة، بنى عليها بيتا كبيرا له ولأولاده..زوج البنين، ولم يبخل على البنت بشقة فيه، فسكنت مع أبيها وأخوتها.. وظلت عائلته التي تشعبت وكبرت وصارت بلا عدد تقيم في ذلك البيت حتى يومنا هذا وتملأ الشارع صخباً وحياة.

fb/mashro3pdf

(٧)

عم سعيد

ظل عم سعيد، بعينيه الملونتين وذلك العرق التركي الذي ورثه عن جدته لأبيه، وبجسده الممتليء بدون تهدل، وبجلبابه الأبيض الأنيق وطاقيته ناصعة البياض، صورة ومثال لجيل بأكمله..جيل كان يقدس العمل ويوقره، ويحترم حدود عمله مهما قل شأنه، ويرضى برزق الله مهما قل أو زاد.

يقف في دكان البقالة منذ السابعة صباحا، يرتبه ويحافظ على نظافتة ونظافة بضاعته، يحترم البضاعة قبل أن يحترم الناس، وترتسم على وجهه نظرة جادة لا تفارقه.يتحرك داخل الدكان بجدية، وكأنه يدير شركة كبيرة وليس دكانا صغيرا..لا مجال لأن تسأله عن شيء فلا تجده..ولا مجال لأن يفوته فرش البضاعات الموسمية قبل غيره، وبأسعار منخفضة..البضاعة التي تسأل عنها في دكان عم سعيد ولا تجدها، لا أمل أن تجدها في مكان آخر.يهتم بأدق التفاصيل، ولا مجال للخطأ.

fb/mashro3pdf

كان عم سعيد هو الابن الأكبر لأخوة ستة، منهم البنين والبنات، توفي والده وهو في الرابعة عشر من عمره، فهب لتحمل مسؤولياته كاملة، وكله صلابة وتصميم لإنجاز المهمة على أكمل وجه..لم يشتكِ يوما أو يتذمر أبدا..قام بفتح دكان بقالة صغير عند ناصية شارعنا القديم، بمدخرات قليلة تركها والده كميراث له ولأخوته، وكان بعقل اقتصادي بارع يدبر أموره، فيوظف دخله من الدكان المتواضع ليكفي.

قام بتربية أخوته وأخواته، وبهذا الدخل البسيط أكمل البنين تعليمهم حتى الجامعة، وتزوجت البنات بعد حصولهن على شهادات متوسطة، وتزوج هو.

كان هذا الدكان البسيط هو البداية التي انطلق منها، ثم -وبعد أن انتهى من تعليم البنين وتزويج البنات- تفرغ لتوسيع أعماله وأعمال الأسرة، فقام بافتتاح محلا للجملة في شارع آخر، ثم افتتح محلا آخر، وتوسعت تجارته بشكل مذهل بعد سنوات طويلة من العناء، وبدا وكأن الحياة ابتسمت له اخيرا، فعوضته ببحبوحة وسعة لم يحسب حسابها.

لكن كان لأخوته رأي آخر، فقد اجتمعوا على أن يتم تقسيم التركة بالعدل، وليأخذ كل منهم نصيبه يديره كيفما شاء.وعلى الرغم من أن حقيقة التركة التي كانوا يتحدثون عنها ما هي إلا مبلغ بسيط بالمقارنة

fb/mashro3pdf

لما وصل إليه حجم تجارة (سعيد) وقتما قرروا تقسيمها، ولكنهم تجاهلوا كل سنوات العناء التي عاشها سعيد، وتجاهلوا ذلك الحب الأخوي الذي أحاطهم به طوال فترة رعايته لهم، وتجاهلوا حقيقة أن هذه التجارة ما توسعت بهذا الشكل إلا لسمعته في السوق، والتي كانت كالذهب.ركبهم شيطان المال بحجة (الحق)، وحين حاول سعيد مناقشتهم فيما يطلبون اتهموه علنا وأمام الناس أنه يسرقهم ويأكل أموالهم بالباطل..لذا ترك لهم التجارة كلها، وعاد لدكانه الصغير الواقع عند ناصية شارعنا، واكتفى به.

لم يفلح أي منهم في إدارة نصيبه كما يجب، فتقلصت محلات الجملة الكبيرة التي كان قد أسسها سعيد لدكاكين صغيرة، بها بضاعة ضئيلة وغير متجددة.

أما سعيد، فكان ما حدث هو سقطته الأخيرة، لم يعد كما كان أبدا..أهمل الدكان والبضاعة، يغلق الدكان لأيام ويفتحه لساعات.. يخطئ في حسابات بسيطة، ويجلس أمام دكانه ذاهلا، تكلمه فلا يرد، وإن رد لا يستجيب لطلبك.وتدهورت حالته بلا توقف، فصار جسدة الممتلئ نحيلا، وصارت بشرته البيضاء اللامعة صفراء منطفئة، وعيناه الخضراوتان صارتا بلا لون، وفقد قدرته على التركيز فأصبح لا يعرف

fb/mashro3pdf

الجنيه من العشرة، وهاجمته الأمراض حتى أقعدته في فراشه، وأغلق الدكان.وبعدها بشهور قليلة، رحل عم سعيد..وظل الدكان مغلقا، تكسو بوابته الحديدية أكوام من التراب.

وحين سقط عم سعيد سقطته الأخيرة، تغيرت أشياء كثيرة، وتغير الشارع تغيرا جذريا، ولم يعد شيء كما كان أبدا.

- تمت -

fb/mashro3pdf

كراكيب

fb/mashro3pdf

الحظ والحب أيهما يجلب الآخر..وأيهما نحتاجه أكثر..هل الحب هو ما يجعل منك محظوظا، أم الحظ هو ما يجعل منك محبوبا؟

يقولون، في شرح قانون الجذب، إن كل طاقة تجذب شبيهتها، فإذا كنت تحمل طاقة إيجابية فهي تجذب كل ما هو إيجابي إلى حياتك، وأنك أنت الذي ترى نفسك، فتراك الحياة بعينك أنت،..ويقولون إن الحب هو أكبر طاقة إيجابية في الأرض، وأن الحب هو يجلب الحظ ولا شك..ولكن ربما كل ما يقال عن قانون الجذب وعن الحب لا معنى له.

أما هي، فلم تكن لتهتم كثيرا بسؤال مثل هذا من قبل. ففي كل يوم، كان يأتي هو في تمام السابعة مساء، ليجلس في ذلك المقهى الفاخر الذي يقع أمام معرض الأجهزة الحدثية الذي تعمل به.. يتابعها بعينيه، وتشعر باهتمامه، ويتسلل لمشاعرها شيء غامض تتفاداه، ولا تريد أن تهتم أو أن يشغلها ما يفعل..لا تريد أن تفكر، فهي تتفادى التفكير منذ زمن، وتتلبسها المخاوف فتقاوم كل فرصة..تدعي أنها راضية قانعة بكل ما في حياتها ولا تتذمر، راضية بدخلها المتوسط وبأسرتها المتوسطة، وأن كل ما تحلم به هو زوج تحيا معه في شقة متوسطة المساحة، في نفس الحي المتوسط الذي يسكنه أهلها.وفي الحقيقة، لم تضع لذلك الزوج مواصفات محددة، وفي الحقيقة..هي لا تفهم

fb/mashro3pdf

المعني الحقيقي للرضا.

لم تكن يوما باحثة لا عن الحب أو الحظ، تعيش هي اليوم بيومه وكفى، وتؤجل تلك النقاشات المحتدمة التي عليها أن تخوضها مع نفسها لما بعد.

سألتها مروة زميلتها الصاخبة: تلاحظين ها؟!

ادعت الجهل قائلة: ماذا؟!

: هذا الشاب

: من تقصدين؟!

: إنه لا يتوقف عن متابعتك بعينيه.

: آه..عادي..كفاك ثرثرة وركزي في العمل

: عادي؟!!..مالي ومالك أنا..سأترك لك أنت كل التركيز وكل العمل..(عبيطة)

******

على المقعد الخلفي لسيارته، جلست يرتعش جسدها من البرد ومن الخجل، وينتفض قلبها لسبب آخر لا تريد أن تعرفه.

fb/mashro3pdf

حين كانت هي ومروة في طريقهما لمحطة الميكروباص، في ذلك اليوم الممطر شديد البرد، وانزلقت قدمها بسبب المطر الشديد، وبدا وكأن ذراعها قد كسر، كان هو بالتحديد وراءهما..التف حولها عدد من المارة محاولين مساعدتها، وعرض هو أن يوصلها إلى أقرب مشفى أو عيادة، وهناك في المستشفى الأقرب انتظر حتى قام الطبيب بتركيب جبيرة لذراعها، وألح عليها هي ومروة لتقبلا بأن يوصلهما إلى المنزل.

على الفور قبلت مروة، ونظرت إليها وهي تغمز بعينيها غمزة خاطفة، قائلة موجهة كلامها إليه: لا نريد أن نسبب لك تعب

فرد مسرعا: لا أبدا

فوجدت نفسها متورطة في الأمر كله رغما عنها..قفزت مروة لتجلس بجانبه على المقعد الأمامي للسيارة، وجلست هي في المقعد الخلفي..أغلق هو نوافذ السيارة وشغّل المكيف الساخن، فبدأ الدفء في التسلل إلى أوصالها، والموسيقى الهادئة إلى أعصابها.. هنالك.. تغير شيء ما بداخلها، تغير شئ ما وإلى الأبد.

بين الحين والآخر، وعلى استحياء، أخذ ينظر إليها في المرآة أمامه، ويتفادى توجيه الحديث إليها..يتحدث إلى مروة الجالسة إلى جواره، وينتظر منها أن تتدخل في الحديث ولو بالقليل، وهي تتجاهل

fb/mashro3pdf

كل ما يحدث وتنظر خارج النافذه، تراقب المطر وتتفادى التفكير في أي شيء، وتقاوم فكرة أنها للمرة الأولى تشعر بالخجل من طبيعة وظيفتها، ومن مكان سكنها.. للمرة الأولى تشعر بالخجل من كل حياتها..وللمرة الأولى تتساءل لماذا لم أسعَ لحياة أفضل من قبل؟!.

لم يسأل هو عن تفاصيل أكثر، أخذ فقط يسترق النظر إليها بين الحين والآخر، واكتفى بأن أوصلهما إلى حيث أرادتا، فشكرتاه، وأستدار عائدا إلى عالمه البعيد.

خرجت هي من السيارة إنسانة أخرى غير التي ركبت، وسألت نفسها كيف للحياة أن تتغير في لحظة؟..وكيف من الممكن أن يغير موقف صغير تفكيرنا، ويهز ثوابت كنا قد ركنا إليها واسترحنا.

بعين أخرى أصبحت ترى الأشياء..الشارع أضيق، والأصوات أعلى، وأكوام متفاوتة من القمامة تشوه أركانه..العمارات واجهاتها متهالكة، وشققها صغيرة..متى كف الناس عن حب الجمال والطموح إليه؟!..تتأمل الشرفات، لا شرفة واحدة تحمل أصيص زرع صغير واحد..كل الشرفات بها أكوام من الأغراض غير المستعملة غير المهمة، التي تكاسل الناس عن التخلص منها، فتركوها للشمس والهواء والأمطار لتأكلها..تركوها للطبيعة للتخلص منها بطريقتها الخاصة.

fb/mashro3pdf

الطبيعة في الأصل تتخلص من كل ما هو غير ضروري، الطبيعة تكره الكراكيب، ولها طريقتها الخاصة في التنظيف.

أخافتها الفكرة..ما أهميتها هي؟ وما قيمة حياتها؟ وما الفرق بينها وبين تلك الكراكيب؟..تذهب إلى المول كل يوم، تقف لتقنع الناس بشراء أجهزة كهربائية غير مهمة، هي في الأصل غير مقتنعة بها..تحرق ساعات من يومها، تعود منهكة تتناول طعامها، تنام لتصحو على أمل ألا يتغير شيء، وتذهب إلى عملها غير المهم، لتبيع أشياء غير مهمة..فكرت في رعب، وسألت نفسها ماذا لو تخلصت منها الطبيعة بنفس الطريقة..

لماذا تسمح للخوف بتكبيلها، وبالوقوف بينها وبين الحياة؟..تخاف من النجاح، ومن الفشل، ومن مواجهة الحياة ومواجهة نفسها، وتدعي الرضا!

تقول لها أختها الأصغر: فرق كبير بين الرضا والقناعة، وبين الخنوع والقبول بالأمر الواقع..الرضا هو أعلى درجات الثقة والهدوء، يأتي بعدما نفعل أقصى ما نستطيع..الخنوع وقبول الأمر الواقع هو هروب من مسؤولية التغيير، وجبن خفي نغلفه بمعان مرضية، لنهرب من المواجهة.

ترد على أختها باستهزاء قائلة: داؤك هو التفلسف.

ولا تفكر في معنى كلام أختها الحقيقي

تتذكر فرص العمل التي أتيحت لها ورفضتها جميعا بحجج واهية..هذا العمل بعيد، وهذا صعب، وهذا دخله صغير، وهذا

fb/mashro3pdf

مواصلاته كثيرة..وما رفضتهم جميعا إلا خوفا من مواجهة الحياة..
اختارت العمل الأسهل، الذي لا يحتاج لمهارات تذكر، لا يحتاج منها إلا أن تكون أنثى على قدر من الجمال ويناسبها قياس (الينويفورم) المتوسط، وتسطيع تكرار الديباجات المحفوظة.

وأدركت أخيرا أن عليها -وبشكل ما- العمل على تجنب مصير الكراكيب ذاته.

fb/mashro3pdf

البوتاجاز

fb/mashro3pdf

عاد من العمل منهكا..توجه إلى غرفة المعيشة، ألقى بنفسه فوق ذلك المقعد الذي يتوسط الحجرة، وجلس صامتا لم يلتفت إليها، ولم يلحظ أنها كانت تجلس عابسة مقطبة الجبين.

تنهد عميقا ثم قال: ده جنان، والله العظيم ده جنان

قالت: أنا تعبت

قال: أنا كده بيتي هيتخرب..مستقبلي ضاع

نظرت إليه في صمت

قال: خسرت اليوم مائة ألف جنيه في ساعة واحدة

لم ترد

قال: إذا إستمر الحال هكذا سنفلس تماما..لن نجد ما نأكل به

قالت: أنا تعبت

قال: ما جمعته في سنوات عملي ضاع ثلثاه في أيام معدودة، والخسارة لا تزال مستمرة، ولا أمل في توقفها قريبا

قالت: وقفت طوال اليوم لأعد طعام الغداء، وما إن أنهيت كل شيء واقتربت من النهاية، حتى احترق الطعام..الأرز احترق تماما، والخضار شاط وأفسدت رائحة الشياط طعمه..قلت لك ألف مرة هذا

fb/mashro3pdf

البوتاجاز أصبح خردة، عمره الافتراضي انتهى منذ سنوات.

قال: طارق أصيب بسكر الدم، وهشام بالأمس ارتفع ضغطه فنقل إلى المستشفى، أما محمد فقرر أن ينفد بجلده ويعتزل العمل في السوق هذه الأيام.

قالت: حاولت أن أنقذ صينية الفراخ فاحترقت يدي.وعدتني قبل الزواج أنك ستأخذ هذا البوتاجاز الخردة من والدتك إنقاذا للموقف فقط..ولكننا سنغيره في أقرب فرصة.مر على زواجنا الآن سبع سنوات، ولازلت أتعذب به.

نظر إليها في عصبية وقال: أين الغداء، سأموت من الجوع

قالت: أقول لك الطعام احترق..البوتاجاز اصبح خردة..يحرق الطعام؛ لن أحتمله بعد اليوم، يجب أن نشترى بوتاجاز جديد

قال: أقول لك خسرت اليوم مائة ألف في ساعة

- اعتبرهم مائة وثلاثة آلاف، ولتشتر بوتاجازا جديدا

- لا تفكرين إلا في نفسك

- وهل سأرتدي البوتاجاز أم سآكله..إنه لأطبخ لك ولأولادك

قال - وهل القديم سيقول لا لن أطبخ.

fb/mashro3pdf

قالت - أنا التي ستقول لا..لقد تعبت..أنت لا تفكر إلا في نفسك وفي عملك فقط..قل لي متى آخر مرة خرجنا معا، أو حتى جلسنا في البيت معا في هدوء وبلا توتر..أنت دائما فاقد لأعصابك، لا أسمع منك سوى صراخ وتأنيب على كل شيء وأي شيء

قال: أنت لا تهتمين بي ولا بحالي، المال هو كل ما يهمك..أنا بالنسبة لك مجرد حافظة نقود كبيرة تمشي على قدمين

قالت: وهل حين أطلب منك أن نشتري شيئا للبيت أو للأولاد أصبح حينها عاشقة للمال؟..بل انت البخيل الذي لا يريد أن ينفق مليما..تنهار أعصابك حين تسمع سيرة المصاريف

قال: أنا لا أساوي عندك شيئا

قالت: وهل أساوي أنا عندك شيئا؟

قال: لم أعد أحتمل كل هذا الغباء، يكفي ما أراه في العمل.

قالت: من تتهم بالغباء؟

قال: الحياة معك أصبحت لا تحتمل، والتفاهم أصبح مستحيلا

قالت: بما أن الحياة أصبحت مستحيلة بيننا، فلماذا تعيش معي؟.. وصلني لأهلي، لن أعيش معك بعد اليوم.

fb/mashro3pdf

احتقن وجهه غضبا..لاذ بالصمت..ثم قام متوجها لغرفة النوم..بدل ملابسه، ثم توجه للمطبخ أكل شيئا ما، وعاد لغرفة النوم..تمدد على السرير ونام..علا شخيره بعد لحظات، واستفزها تجاهله، فراحت تبكي..علا صوت شخيره أكثر، فعلا نحيبها أكثر.

في السابعة مساء، استيقظ من نومه، فوجدها وقد هدأت قليلا

قال: البسي علشان ننزل نشوف البوتاجاز..بجملة الخسارة.

تهلل وجهها، وقامت لتبدل ملابسها.

fb/mashro3pdf

قلب أبيض

fb/mashro3pdf

كانت طفلة في كل شيء..لفتاتها..ضحكاتها..نظراتها..اختيارها للكلمات..بحثها عن معاني الأشياء..وفي اندهاشها الدائم من كل شيء.

يحمل صدرها قلبًا أبيض، كقلب طفلة في الرابعة..دائمة الانبهار..دائمة الانفعال..كل الاشياء بالنسبة لها جديدة ورائعة وتستحق الحب.

كل الأشياء لديها لها تفسير آخر غير الذي نعرفه، تفسيرأكثر براءة مما نعرف، أكثر صدقا عما نظن، ودائما تفسير طفولي للغاية..لم تكن باهرة الجمال، ولكنها سحرت قلبي منذ لقائنا الأول..عرفت فيها شيئا لم أعرفه في أحد غيرها..كل الحياة حولها كانت مختلفة تماما عما كنت أعرفه من قبل..تلونت الحياة حولي فجأة بألوان لم أعتاد رؤيتها

ووقعت في حبها بكل ذرة في كياني..كنت أسخر من أصدقائي كثيرا حين يقعون في الحب، ويصفون مشاعرهم بعبارات تبدو بلهاء، وكانت مشاعرهم تلك تبدو لي مضحكة للغاية..ولكنها اليوم ليست مضحكة، لا تبدو مضحكة أبدا، بل تبدو رائعة رائعة، لدرجة لم أتخيل وجودها في الحياة قبل هذا اليوم..فليذهب كل ما مضى إلى حيث لا رجعة، ولنبدأ الحياة منذ هذه اللحظة، لحظة لقائنا..ولتصبح كل الأيام لقاء..وليدُم لقاؤنا حتى نهاية عمري..لن أفرط في لحظة فتمر بدونها أبدا....

هل أبدو لكم مضحكا؟!..هل تبدو كلماتي بلهاء؟!!..ربما كانت

fb/mashro3pdf

كذلك، ربما كانت أكثر من ذلك..ولكن هذا ما كنت أشعر به حينها.. لا بل ما كنت أشعر به أكثر..لم أصدق نفسي حين استيقظت ذلك الصباح، فوجدتها بجواري وقد أصبحت زوجتي.

مرت أيامنا معا في سعادة تكاد لا تنتهي..شيء واحد كان يعكر صفو حياتنا..شيء واحد خلق بيننا نوعا من التوتر، ولم أكن أتوقع أنه من الممكن أن يصبح مشكلة في يوم ما..هذا التوتر الذي نشأ في علاقتنا لم أكن أريد أن أعترف بوجوده..أعجبتني الصورة هكذا، بلا رتوش، بلا أخطاء..أحببت أن تكون الحكاية بلا فواصل..أردت أن اراها دائما كما رأيتها أول مرة.

أتساءل الآن لماذا لم أتوقف حينها..كيف لي أن أسمح لها بأن تتعامل بكل هذا المرح مع الجميع، حتى مع الرجال من عائلتي.. وكيف لم أستوقفها حين رأيت ابتسامتها الساحرة ونكاتها المرحة توزع على الجميع..

وكيف لم أر نظرات اللهفة التي كانت تملأ عينيه حين أطلب منه الذهاب إلى المنزل لإحضار شيء ما، أو إرسال شيء ما..كيف لم ألمح تلك اللمعة التى تظهر في عينيه، حين كانت تأتي إلى مكتبي، والذي يقع قريبا من المنزل..كان ارتباكه يكاد أن يفضحه، ولكني لم أر ولم أسمع.كان

fb/mashro3pdf

واضحا لكل من في المكتب أنه أحبها، أنا الوحيد الذى لم يكن واضحا لي.هل لأنه عامل بسيط، توقعت أنه لا يعرف الحب .؟ أم لأني كنت أعرف تماما أنها تستحق الحب؟..أم لم أرد لشيء أن يعكر صفو سعادتي؟!

انقطعت هي عن زيارتي في المكتب، وفسرت أنا ذلك بانشغالها بطفلنا حديث الولادة.. وأصبح هو يتحين الفرص للذهاب إلى البيت، وعللت ذلك برغبته في الهروب من العمل. طلبت هي مني أكثر من مرة ألا أرسله إلى البيت، ولم ألتفت لطلبها وإلحاحها عليه

لم أشك في إخلاصها لحظة، فقد كانت بريئة لدرجة لا يمكن معها الشك..لم تتغير لهفتها أبدا، ولم يخفت حبها لي أبدا، فكيف لي أن أشك فيها؟!

حتى جاء ذلك الصباح..كان صباحا مختلفا، انتابني شعورا غامضا بالخوف، أردت أن أمنعها من الخروج..وخاصة أنها بدت أجمل من كل يوم، ولكنها تعللت بموعد تطعيم الطفل، وطلبت مني أن أذهب معها؛ ولكني كنت منشغلا.كان يومي ممتلئا بكثير من المشاوير المؤجلة..ودعتني بابتسامتها التي زادت جمالا مع مرور الأيام..قبلتني وخرجت..لم أشك للحظة أنها ستكون قبلتنا الأخيرة.

كل ما حدث بعد ذلك مر سريعا، أكاد لا أذكر منه شيئا..فقط رائحة الدماء..أصوات الصراخ..بكاء الطفل..كلماتها الأخيرة (قتلني..قتلني

fb/mashro3pdf

لأني رفضته، لم أصدقه حين أقسم ألا أكون لغيره بعد اليوم..قال إنه سوف يقتلني لو أضطر لذلك، ولكني لم أصدقه..أشفقت على أمه وأخوته من التشرد إذا طردته أنت من العمل، فلم أخبرك)...

صوت سيارة الاسعاف لازال يملأ أذني حتى الآن..وجهها الذابل وهي في غيبوبتها التى دامت لأسابيع..مشهد الطبيب والممرضات وهم ينقلون إلى خبر وفاتها..وكأنه حلم..هل كان كذلك؟..لعله مجرد حلم، وقد أصحو منه فأجدها تملأ حياتي مرة أخرى.

fb/mashro3pdf

ساعة صفا

fb/mashro3pdf

وصل محمود على موعده بالتمام والكمال، حاملا معه قالب حلوى باهظ الثمن.فتح له ميدو الباب، وأخذ منه قالب الحلوى.وضعه على منضدة بجوار الباب، ثم أدخله إلى حجرة الصالون وأغلق بابها عليه وخرج..دقائق مرت، ثم دخل رب البيت مبتسما مبتهجا، ورحب به ترحابا لائقا.بعد بضع دقائق، دخلت الست (أم منى) تحمل أكواب العصير، وضعت العصير على المنضدة أمامه، ثم سلمت سلاما فاترا وجلست في الكرسي المواجه له مباشرة.أخذ محمود يفرك يديه في قلق، بينما حاول الأب تلطيف الجلسة ببعض الحكايات المقتبسة من سيرته الذاتية.وبينما الست (أم منى) تتفحص محمود وتقلبه ببصرها.

قال له الأب: نحن نشتري رجل وما في بيتك لك

قال محمود: وأنا لن أبخل على بيتي

قال الأب: كل شيء سيكون مناصفة بيننا (إلا إذا كنت تحب أن تدفع مهرا) هذا أمر يعود اليك

رد محمود متعجلا: لا..مناصفة أفضل

قالت أم منى: الأجهزة والمطبخ عليك!

نظر إليها الأب بغيظ، ولكنه لم يتكلم، وسكت محمود قليلا ثم قال:

- وماله، إنها أشياء بسيطة.

fb/mashro3pdf

قال الأب:الشبكة هدية العريس لعروسه، لن أتكلم فيها ونحن نشتري رجل

وقالت الأم معقبة: لنرى مقدار غلاوة منى عندك.

قال محمود: ومنى قيمتها عندي لا تقدر.

قالت أم منى: ما رأيكم في أن نشتري الشبكة الآن مع الدبل (ونخلص)

سكت محمود ونظر لسجادة الصالون المزركشة، والتي تشبه إلى حد كبير سجادة بيتهم وقال: سنقرأ الفاتحة في اجتماع عائلي صغير(نلبس فيه دبل) ونؤجل كل شيء للفرح الكبير

قالت الأم: آه هكذا أفضل.ولنشتري الشبكة الآن مع الدبل، ثم نتركها على جنب للفرح الكبير

قال محمود: ما رأيك يا طنط، هل نختار الفرش مودرن أم كلاسيك؟

فهمت طنط ما يرمي اليه محمود، فردت بفتور: كما تحبون يا بني، هذا شئ يرجع لك أنت ومنى.

قال محمود: بإذن الله.. ثم التفت إلى الأب قائلا: ما رأيك يا عمو هل الجمعة بعد القادمة ميعاد مناسب لقراءة الفاتحة؟

قال عمو: وماله يا بني، على بركة الله

قالت الأم مقاطعة: لا لا الجمعة التي بعدها أفضل. يكون ميدو

fb/mashro3pdf

أنهى امتحانات الشهر

قال الاب: ها، ما رأيك يا محمود

لعن محمود ميدو في سره ألف مرة، قبل أن يرسم ابتسامة على وجهه قائلا: كله إلا ميدو..الجمعة التي بعدها وماله

فقام الأب وهنأ محمود، وطلب من الأم أن تنادي منى..دقائق وقفزت منى داخل الحجرة، وهي ترمق محمود بنظرة ذات مغزى، وعلى وجهها ابتسامة واسعة.سلمت عليه سلاما فرحا مبتهجا، وجلست إلى الكرسي الأقرب إليه.

قال الأب: إن شاء الله الفاتحة الجمعة الأولى من الشهر القادم، مبروك يا منى

احمر وجهها خجلا، ولمعت عينيها من السعادة وردت قائلة: الله يبارك فيك يا بابا

وسكت الجميع.هنا ادرك محمود أن الزيارة قد انتهت، وان عليه هو أن يعلن ذلك ولا أحد غيره، فقام قائلا: تأخر الوقت، يجب أن أذهب..تصبحون على خير.

قالت منى:لماذا!!!!!؟ بدري!! انتظر..

فنظرت لها أمها نظرة صارمة وقالت وهي تكلم محمود: خلاص

fb/mashro3pdf

يا حبيبي على راحتك تصبح على خير

توجه محمود إلى الباب، يصحبه الأب، وفى طريقه لمح ميدو جالسا يشاهد التلفاز وهو يأكل قطعة من قالب الحلوى.نظر اليه في حسرة، متذكرا ما دفعه في هذ القالب، ثم مضي.

وصل محمود إلى بيته متأخرا، فوجد والدته ساهرة في انتظاره. حاول جاهدا تفادي الحديث معها، ولكنه لم يفلح.سألته: اتفقتم؟

قال: الحمد لله

: على ماذا اتفقتم؟

: على المناصفة في كل شيء

: والمطبخ والأجهزة

: سأتكفل أنا بهم

: ماذا؟! (دي مش أصول دي) قلت لك أجيء معك

: هذا ما اتفقت عليه (وخلصنا)

قالت أمه في تبرم، وبصوت يملؤه الآسى: طيب زي أبوك

أحمر وجه محمود وهم بقول شيء ما، ولكنها أشاحت بوجهها وحركت كفها في الهواء ملوحة، وقالت وهي تتجه لغرفتها ودون أن تنظر إليه (اتفلق) وصفقت الباب وراءها.

fb/mashro3pdf

ارتمى محمود على الأريكة والغيظ يملؤه..أمه محقة، وهذا فعلا ما يغيظه..من أين له أن يفرش شقة كاملة وشبكة وعقد قران وحفل زفاف، وهو الذي لا يحمل في جيبه إلا ثمن خاتم الزواج وخاتم آخر تقدمه أمه كهدية، ورابطة عنق جديدة، وسيستدين ثمن بوكيه كبير من الورد، وفقط!..سيلزمه سنوات ليدخر كل هذه الأموال التي يحتاجها الزواج.

****

على كتفيه وبرفق خبطت مني وقالت: رحت فين؟!

نظر إليها وإلى شقتهم الفاخرة، وقال: كنت في ساعة صفا مع ذاتي، أعيد على نفسي شريطا من الذكريات، كان حتما عليَّ أن أعيده الليلة وأنا أستعد بأفكاري للقاء عريس ابنتك غدا.

فضحكت وضحك، وقالت: توقعت أن تفعلها كما فعلتها أنا.

fb/mashro3pdf

عقد لولي
وتوب حرير

fb/mashro3pdf

على كنبتها البلدية، جلست تنعي حظها وتجتر أحزانها وتبكي قلة بختها، بعد أن قامت حماتها بتسميم بدنها وتذكيرها بأنها (أم البنات وشايلة الهم للممات) وكان أكثر ما حز في نفسها تلك الجملة الأخيرة، التي أنهت بها حماتها وصلة تسميم البدن، قالتها وهى تمصمص شفاها: ربنا يعوض عليك يا بني ويصبرك على ما بلاك.قالت حماتها تلك الجملة هكذا قطعة واحدة، ألقت بها في وجه فوزية وانصرفت، لتتركها وسط أمواج من الحزن والهم، بينما ذهبت هي لتنام ملء الجفنين مرتاحة البال.

بكت الست فوزية كثيرا في تلك الليلة كما لم تبك من قبل فمنذ بداية حملها الرابع وهي تستمع لهذه الوصلة يوميا..وما ذنبها هي ليتسمم بدنها يوميا هكذا إنه قضاء الله وحكمته هل ستعترض حماتها على قضاء الله ايضا.

استيقظ الاستاذ عبد التواب على صوت نهنهاتها،ودون أن يستفسر عن السبب ربت على كتفيها قائلا: يا فوزية دعك من هذا الكلام صلي ركعتين لله أحسن.. هل ستعترضين على أمره سبحانه وتعالى؟.. صلي وادعي لله أن يرزقنا جنينا سليما معافا وأن ييسر ولادتك.

كان يعرف أنه يتحدث إلى نفسه.. ففوزية حين تنتابها نوبة الرثاء

fb/mashro3pdf

للذات هذه، المصحوبة ببكاء متواصل، لا تخرج منها ولا بالطبل البلدي. قد تستمر هكذا أياما أو حتى أسابيع دون تراجع. ولكنها في هذه الليلة -وعلى غير عادتها- استجابت لكلامه وقامت للصلاة. أنهت صلاتها وجلست تبتهل إلى الله، وتدعوه بأن يعوض عليها بخلفة الولد، ثم توجهت إلى سريرها بعد أن أنهكها البكاء وكادت رأسها أن تنفجر.. وما لبثت أن راحت في نوم عميق.

وفي الصباح، استيقظت مبكرة وبدأت تتحرك بخفة ونشاط غير اعتياديين.. دخلت المطبخ لتعد طعام الفطور، وأخذت تداعب البنات وتغازلهن، وتلقي بعض النكات يمينا وشمالا، وبدا وكأنها استعادت بعضا من مرحها القديم، والذي كانت مشهورة به بين الأهل والأصدقاء، وكأنها فوزية أخرى غير التي كانت بالأمس.

فكر عبد التواب في سؤالها عن السبب، ولكنه عاد لعقله سريعا مؤثرا السلامة، فلعلها أرادت أن تتقي الله فيه وفي البنات (وتبطل نكد)..ولو كان لديها ما تحكيه، فستحكي وحدها دون سؤال. هكذا تعود منها، وإن لم يكن -وعلى الأرجح هو كذلك- فلا داعي للسؤال، حتى لا تتبدل الأحوال ويقلب السؤال المواجع.

على مائدة الفطور، وبعد أن ذهبت كل بنت إلى حال سبيلها،

fb/mashro3pdf

تراصت أصناف الطعام في بهجة كانت غائبة عن البيت منذ سنين.. هذا صحن فول بالخلطة، وهذا صحن طعمية ساخنة، وبعض حبات من الفلفل تم قليها بعناية، وجبن، وعسل، وحلقات من الطماطم والخيار، وبيض مقلي بالزبد البلدي، والمفاجأة الحقيقة كانت أرغفة العيش التي تم تسخينها بمزاج، حتى أن فوزية حمصت رغيف خبز أو اثنين.. للحظات، وقف عبد التواب مشدوها، ولم يصدق عينيه.. هل كل هذه المائدة له!!! بالأمس كان فطوره قطعة من الجبن ورغيفين، أحدهما محترق والأخر كاد أن يحترق، طلب من فوزية أن تسخن له غيرهما فتظاهرت بأنها لم تسمعه، ودخلت حجرتها لتكمل نومها.

انتابه القلق، ونظر للمائدة ولوجه فوزية المبتسم بتوجس، وجلس ليتناول فطوره

- شُفت، أنا قلت ربنا مش هيكسفني أنا كنت عارفه

هكذا انطلقت فوزية بصوت تملؤه البهجة والثقة. وقبل أن يستفسر عن ذلك الشئ الذي كانت تعرفه، استرسلت فوزية في الحديث:

- ليلة امبارح بعد ما صليت ونمت جاتني جدتي لأمي بالمنام

وانتاب فوزية وهي تحكى عن رؤياها ما يشبه حالة الإلهام، وبدت كمن تكشفت له أسرار الطبيعة، وهى تحكي لزوجها عما رأته في منامها..

fb/mashro3pdf

- قالت لي ماتزعليش نفسك يا فوزيه قومي يا حبيبتي خدي مني مدى ايدك ماتخافيش.. أخدت منها لفة فتحتها لقيت فيها عقد لولي وتوب حرير. بصيت لها وأنا مش مصدقه نفسي، قالت لي إيه رأيك عجبوكي؟.. بوسي ليه طه، طه ده ولد مبروك يا فوزية خلّى بالك منه

كاد عبد التواب أن يسألها من طه، هذا ولكنه فكر أنه من الأفضل لو تأنى قليلا، فلاذ بالصمت فأكملت:

- تعرف يا أبو هناء، قلبي حاسس أني هولد النهارده وهولد ولد. لو حصل وولدت النهارده وطلع ولد هيبقى مبروك..

كانت في قمة نشوتها وهي تحكي.

- أيه رأيك نسميه طه، حلو الاسم مش كده؟

يعرفها جيدا حين تنتابها هذه الحالة، يعرف متى لا يعارضها. حين تزوجها كانت صغيرة السن قليلة الخبرة، وكان أكثر ما أحبه فيها لحظات الإلهام تلك.. استقبل حكايتها بابتسامة عريضة، ولم يقل شيئا.. أنهى فطوره وهم بالانصراف، ولكنها استبقته إلى الباب واستوقفته قائلة:

- هتروح فين مش قلت لك!

: أمممممممم مش فاكر.

: حكيت لك على البشارة !...عن الحلم.

fb/mashro3pdf

: عايزاني أغيب عن الشغل علشان حلم؟ ربنا يهديكي يا فوزية سيبيني انزل ولو حصل حاجه ابقي اتصلي على الشغل.

برطمت فوزيه وهى تمضى إلى حجرتها مبتعدة، غير عابئة بتوديعه. وما إن خرج من الباب وابتعد عن البيت، حتى شعرت فوزية ببداية المخاض. ولكنها وكما علمتها تجاربها الثلاث السابقة، تأنت قليلا قبل أن تعلن الخبر.

في المساء، وقبل أذان العشاء بدقائق معدودة، ولد طه...كانت ليلة الجمعة، وجاءت الولادة يسيرة على عكس ولاداتها الثلاث الأخرى، فزاد يقين فوزية بأن (الولد مبروك وهيبقى فيه حاجه لله) كما أعلنت لأمها وأخواتها وبعض الجارات المقربات (اللى عنيهم باردة)

وقبل أن يمضى أسبوعها الأول بعد الولادة، كانت فوزية قد استعادت كامل صحتها، ويوم السبوع كانت أول المزروعات بالمطبخ، وقد أخذت على عاتقها تحضير الأرز باللبن، وطوال اليوم ظلت تروح وتجئ، تداعب هذه وتتحدث مع تلك، تحكى حكاية، تلقي نكتة، حتى ضج المكان كله بالحيوية والبهجة التي كانت تفيض من روحها فيضا، ولم تهدأ حتى بعد أن لكزتها أمها قائلة (هتتحسدي يا مهبولة).

كانت بهجتها تلك طبيعية.. إنه الولد الذي تاقت نفسها كثيرا

fb/mashro3pdf

لإنجابه، كانت صدى لشعور بالانتصار على حماتها، التي طالما -وعلى مدار سنوات- سممت بدنها بسبب انجابها للبنات؛ والآن سترضى عنها مضطرة. ينتابها شعور غامر بالانتصار على حماتها وجاراتها وأخوات زوجها وعلى الحياة كلها، ومن الصعب عليها السيطرة على إحساس كهذا تريد أن ترتشفه حتى آخر قطرة، وليكن ما يكون.

في اليوم التالي، كان الموعد مع الطبيب ليتم ختان طه.. ذهب عبد التواب وصحب معه فوزية، وأصرت أمه على الذهاب معهما.. حملت فوزية طه ليراه الطبيب وما أن كشف عورته حتى شهق في تعجب (سبحان الله) فجزعت فوزية

خير يا دكتور

فأجابها متعجبا: ابنك يا مدام حالته غريبة جدا، سبحان الله قادر على كل شيء!

احمر وجه عبد التواب غضبا، وصرخ في الطبيب: ماله الولد يا دكتور ماله؟!

ابتسم الطبيب في هدوء قائلا: اطمئن هو بس مش هيحتاج لعملية (ختان) طهارة، ده مولود مختون، حاجة نادرة بس بتحصل.

fb/mashro3pdf

هنا كبّرت فوزية وحوقلت وبسملت، وأخذت تردد بدايات سورة الفلق،، ولم تتوقف طوال طريق العودة عن تلقين جدة الولد: ابوس ايدك يا حاجه ما تجيبى سيرة لحد الولد يروح فيها

: حاضر يا بنتي

: أنا مش هقول لأمي

: حاضر يا بنتي

: ولا عمات الولد يا حاجه

حرقتها الحاجة بنظرة غضب وهي تقول بصوت يخنقه الغيظ: حاضر يا بنتي.

بعد هذه النظرة حاولت فوزية بصعوبة بالغة السيطرة على لسانها، ليصلوا إلى البيت بسلام. ولكنها ظلت تردد: ده ولد مبروك يا حاجه.

ولسنوات طويلة، ورغم حوادث كثيرة، ظلت فوزية تحمل ذلك اليقين، وتردد على مسامع الجميع أن طه ولد مبروك.

كبر طه ووعى على الحياة، وهو يحمل داخله ذلك اليقين بأنه مبروك. لم يكن متفوقا في دراسته، ولا موهوبا في شيء ما، ولم يكن يدري على وجه التحديد فيما كان مبروكا؛ ولكنه ظل ينتظر اللحظة الحاسمة التي سيتغير فيها كل شيء، وتحدث المعجزة، وينتفع أخيرا

fb/mashro3pdf

من تلك البركة.

لم يكن تخرجه في كلية التجارة مصادفة، فالحاج عبد التواب كان قد افتتح مشروعا صغيرا لتجارة السيراميك (درجة ثانية) وطالما بحث عن محاسب يأتمنه على أمواله، وكان ينتظر تخرج طه بفارغ الصبر. ولكن روح طه الحرة، التي تسكن هذا الجسد المبروك، أبت أن تسكن ذلك العمل الدنيوي المادي، فجلس في البيت يتأمل حياته ويفكر من أين يبدأ.

وجاءته الفكرة ذات ليلة، وهو جالس يحتسي كوب النعناع في شرفة منزلهم، فقرر أخيرا أن يفتتح (كشك صغير) لتجارة الكتب الإسلامية وأعواد السواك والسبح.. إنه عمل يتقرب به إلى الله، ويمارس فيه طقوس البركة التي منحت له. عارضه الأب في البداية، ولكنه وافق تحت إلحاح الأم، وخوفا من أن يتعود الولد على الجلوس في البيت بلا عمل.

لسنوات ثلاث، ظل طه يستيقظ في الصباح يفتح الدكان، يبيع بعض البضاعة ويأخذ مكسبًا بسيطا، يعود به في الليل، ويسأل نفسه أين البركة؟!. كان دخل الدكان يغطي مصاريفه بالكاد، ولا مجال لإنفاق على زواج أو أولاد، ولكنه كان يخاف من هذه الأفكار الدنيوية التي تبعده عن التفكير السليم، وكان يصبر نفسه بأن لكل شيء أوان، ولكل

fb/mashro3pdf

واحد منا قدره، وتناسى انه هو من اختار فتح الدكان.

ذات صباح، وبعد أن أتاه رضا القهوجي بكوب النعناع الصباحي، جلس رضا على الدكة الموضوعة امام الباب ليريح قدميه قليلا وقال: عدنا أنا وأم العيال من عند الطبيب بعد منتصف الليل، ولم ننم جيدا.

في تفاعل مصطنع قال طه: لا حول ولا قوة إلا بالله..ولما الطبيب؟!!

قال القهوجي: كان معادنا مع الدكتور عشان ختان المولود الجديد.. والعيادة كانت على آخرها ثلاث ساعات ونص منتظرين.. طهقت والله

: مبارك يا ابو عبد الله

: لا لا ما اتعملتش

: يا الله ثلاث ساعات ومادخلتش للدكتور

: لا الحمد لله دخلنا، بس الدكتور قال أن الولد مش هيحتاج لها.. الولد متطاهر رباني.. ربنا عالم بحالي، ماكانش فيَّ لمصاريف تاني

للحظات، حاول طه استيعاب ما يدور بداخل نفسه، ولكن الفهم استعصى عليه.. لذا أغلق الدكان وعاد إلى البيت، جلس في حجرته وأغلق الباب.

لأيام بعدها ظل منطويا على نفسه، تلعب الأفكار برأسه وتقتله

fb/mashro3pdf

التساؤلات. وفي النهاية خرج من حجرته، متوجها إلى صالة المنزل حيث يجلس والده، وقال له:

: هاصفي الدكان واشتغل معاك، ولكن بعد الظهر.

قال والده في دهشة: ليه بس؟

: كده أحسن

: وليه بعد الظهرمش من الصبح!

: لا بعد الظهر، هذا شرطي...في الصباح أتفرغ للدراسة ولأمور أجلتها أكثر من اللازم.. فاتني كثير قوي يا أبو طه.

fb/mashro3pdf

الرابعة عصرا

fb/mashro3pdf

دقت الساعة تمام الثالثة عصرا، فهرعت إلى المطبخ لتتم تجهيز طعام الغداء. عادت لتوها من العمل، وليس أمامها سوى نصف ساعة ويعود الأولاد من المدرسة، ثم نصف ساعة أخرى ويعود يحيى من عمله.

تستيقظ كل يوم في السادسة صباحا، لتجهز الأولاد لليوم الدراسي..تصلي الفجر.. تجهز الشطائر وأكواب الحليب.. تضع بعض الشطائر للإفطار والبعض الآخر تلفه ليحمله الأولاد للمدرسة.. يتناولون الشطائر ويشربون الحليب، ثم يرتدون ثيابهم وأحذيتهم.. يصففون شعرهم ثم يحملون حقائبهم.

تودعهم وتغلق الباب وراءهم، وتعود إلى الداخل متمنية من قلبها ألا يحمل الصباح أية مفاجآت.. ليس لديها وقت للمفاجآت.

تكون مهمتها مع الأولاد سهلة، إذا ما قورنت بمهمتها معه.. مع الأولاد الصراخ مسموح والاستعجال مسموح وقليل من اللعنات وتقطيب الجبين أيضا مسموح.. أما معه، فلا تملك سوى ابتسامة رقيقة وصوت هادئ، وتظاهر بأن أمامنا اليوم بطوله.

أحيانا تشعر أنه يتعمد التلكوء.. يقوم من نومه بتكاسل واضح.. يتناول فطوره بهدوء.. يتحدث كثيرا. تسأل نفسها: هل يتعمد حقا إطالة الحديث، أم أنها فقط من يتخيل ذلك لأنها تتعجل خروجه؟ هل أفقدها

fb/mashro3pdf

الاستعجال والجري وراء الوقت وملاحقته قدرة الاستمتاع بالحياة؟..

تفكر أنه ربما يقرؤها ويتعمد حصارها حتى تكف عن التظاهر بأن (كله تمام) وبأنه (أمامنا اليوم بطوله)..تربكها الفكرة، فتنفضها عن رأسها وتعود لتلتقط خيط الحديث الذي يبدو وكأنه سيمتد إلى الأبد.

تسأل نفسها لماذا لا تخبره فقط وببساطة بأنها في عجلة من أمرها.. هل تعتقد حقا أنه لا يشعر بتوترها؟

منذ لحظة نزول الأولاد للمدرسة، وحتى نزوله إلى العمل يمر الوقت طويلا. من فرط انفعالها تشعر وكأنها قابلة للاشتعال في أية لحظة.. تسأل نفسها ألف مرة لماذا لا تخبره ببساطة أنها في عجلة من أمرها؟.. لماذا تصر على التظاهر بأن وجودهما معا ينسيها الدنيا وما فيها؟... ينسيها الوقت والعمل ومديرها السمج (متصيد الأخطاء) والذي لا يترك مناسبة دون أن يذكرها بأنها الوحيدة بين زملائها التي لا تلتزم بمواعيد الحضور والانصراف.

تحاول السيطرة على انفعالاتها لكي لا ترد.. ولكن في نهاية الأمر يفيض بها، فترد عليه بانفعال قائلة: حين تقدمت للعمل أوضحت أني لن أستطيع الالتزام بمواعيد الحضور والانصراف.. وطبيعة العمل تسمح بذلك؛ ما المشكلة؟!!!

fb/mashro3pdf

يقاطعها وعلى وجهه ابتسامة تمقتها: لا تأخذي كل شئ على أعصابك..أمزح معك.

تلمح في عينيه نظرة شماتة لأنه أستطاع إثارة أعصابها وإفساد الصباح عليها، فتتجاهله وتبدأ العمل.

في منتصف النهار، تترك المكتب لتعود مسرعة إلى البيت.. يكون زملاؤها منهمكين في أعمالهم، بينما تحمل هي عملها وتعود إلى بيتها، حتى لا تتأخر عن الثالثة عصرا.. هذا الميعاد، الذي يسبق عودة أبنائها بنصف ساعة، يناسبها جدا، ولا تستطيع التأخر عنه. تشعر بتهامسهم عليها، ولكنها تتجاهلهم.. يتهامسون أو لا يتهامسون لا تملك سوى تجاهلهم.. إما هذا أو أن تجلس في البيت بلا عمل، بعد سنوات الدراسة الخمس بكلية الهندسة والأحلام العريضة تجلس في البيت بلا عمل، لتحمل وبجدارة لقب (ربة منزل)!.. لن تقبل.. ستتحمل أي شيء حتى لا تحمل ذلك اللقب الذي يفزعها، ويذكرها بفشل حياتها العملية.

تنتفض إذا سألها أحدهم (ربة منزل؟)، تجيب بعصبية مهندسة. تنظر في أول مرآة تقابلها، تتأمل صورتها وتسأل نفسها لماذا اعتقدوا أني ربة منزل؟ هاجمتها منال (أنتيمتها) ذات مرة قائلة ما العيب في (ربة المنزل)، إنه في حقيقة الأمر اختيارك أنت، سواء العمل أو الجلوس في

fb/mashro3pdf

البيت لرعاية الأولاد، لا دخل لأحد في ذلك.

****

أضافت الملح لصلصة الإسباجيتي، وقليلا من الزعتر ليجعلها أطعم.. قطعت حبات الفلفل الأصفر والأحمر وأضافتها للسلطة الخضراء، ثم أضافت ملعقة من زيت الزيتون.. يحب يحيى زيت الزيتون، بينما يضايقها طعمه، ولكنها في كل مرة تضيفه بلا تردد.

في تمام الثالثة والنصف، يدق جرس الباب.. يعود الأطفال إلى البيت فتعود الفوضى معهم، تحتضنهم ثم توبخهم وتلملم أشياءهم المبعثرة.. تحممهم لتزيل عنهم أثر الطريق، تلبسهم ملابس نظيفة، وتنظر إليهم فيمتلئ قلبها بالرغبة في الحياة. تتأملهم وتقول لنفسها (لو أني لم أكن في العمل صباحا، لكنت أكثر هدوءا وبشاشة.. مقصرة معهم !

تمام الرابعة يعود يحيى، ليجدها واقفة بالمطبخ كما تركها في الصباح.

يفتح الباب بمفتاحه الخاص، فيندفع الأولاد نحوه مهللين لعودته.. وبما تبقى لديه من طاقة قاربت على النفاد، يحملهم ويلقيهم في الهواء واحدا تلو الاخر، فتتعالى ضحكاتهم ويملأ صخبهم البيت

fb/mashro3pdf

بهجة وفرح حقيقيين.

أما هي، فتقف في المطبخ مضطربة، تود لو أنها تستطيع أن تهلل لعودته مثلما يفعل الأولاد.. تتمنى لو تجري إليه تحتضنه وتخبره كم تحبه. ولكنها تقف بالمطبخ منهمكة في إعداد طعام الغداء. تتحرك بآلية وعصبية تسابق الزمن، حتى لا تسمع منه تلك الكلمة التي تمقتها.. تسمعها منه فيتعكر مزاجها لما تبقى من اليوم، وتفسد شهيتها فلا تأكل إلا القليل.(لم تجهزي الغداء بعد..أموت جوعا) يرتفع صوته قليلا وهويقولها بحنق، فترتبك أكثر وتسرع في رص الأطباق، لتثبت له أن كل شيء جاهز. كم تكره حين يضعها في موقع المتهمة وترى نفسها مضطرة للدفاع عن نفسها.. يصيبها الصمت ولا تجد ما تقول، تصيبها كلمته في مقتل، فتصمت وتتعذب بصمتها،

ولا تعرف أنه ربما كان ثائرا لسبب آخر.

ربما كان غاضبا لأنها تجاهلت حدث عودته الصاخب وانشغلت عنه برص الأطباق.. لو أنها فقط تهدأ قليلا، وتقف لتتأمل، لكانت فهمت أكثر، واستراحت أكثر..

fb/mashro3pdf

بدون موعد

fb/mashro3pdf

رحلت!!!...كيف ترحل هكذا دون موافقتي؟!. لم أتوقع رحيلها الآن. لازالت بيننا أمور عالقة.. لازالت مدينة لي بالاعتذار عن بعض الأشياء، ومازلت مدينة لها بالاعتذار عن كل شيء.

حين علمت برحيلها، مر تاريخنا معا أمام عيني.. مر كله في لحظة.. بدايات كل صيف.. نهايات كل ربيع.. أيام الشتاء.. بدايات الصبا.. أيام الصحة والمرض.. أيام التعاسة والفرح.. النجاح والفشل. كانت حاضرة دائما، وكنت أنا غاضبة دائما. اتفقنا قليلا، واختلفنا كثيرا.. واتفقنا دائما على ألا نتفق.

أحمل صورها جميعا بداخلي.. صورة وهي راقدة بعد ولادتها لأخي، وصورة وهي واقفة بالمطبخ تعد طعام الغداء، وتلك الصورة الأهم بذلك الثوب البنفسجي وشعرها الكستنائي مسترسل على كتفيها بلا استئذان، في ريعان شبابها كانت، وكنت أنا في بداية الطفولة. كيف فاتتني هذه المفارقة، وكأن شبابها انتقل مع الأيام لي أنا، لم تبخل به أبدا، أعطته لي ولأخوتي دائما بلا مقابل.

أمي، كم كنتِ جميلة في ذلك الثوب.. دائما كنتِ جميلة

لماذا سمحت أنا لذكرياتنا السيئة معا أن تقف بيني وبينك؟

أحبك...بالرغم من كل شئ أحبك أكثر مما توقعت. اضحكي

fb/mashro3pdf

مني كما تشائين، فنعم فقط اكتشفت ذلك الآن.

لم أكن أتوقع أن الرحيل هكذا حق من حقوقك، فكيف ترحلين هكذا ببساطة وتتركينني وحدي؟ ليس من حقك أن تتركيني وحدي، ولماذا لم تعلميني قبل رحيلك؟.. كيف أكون وحدي في الحياة بدونك، وكيف أتخلص من مرارة الفراق؟

كيف أوقف دموعي؟.. كيف اخفي ألمي لغيابك؟.. من سيعلمني كل هذا غيرك؟

لم أتوقع أني سأحتاج لتعلم كيف أنساكِ، لم يخطر لي أبدا أني سأحتاج يوما لنسيانك..

هل تصدقين...؟ أتمنى الآن، وبعد رحيلك، يوما واحدا معك.. كنتِ معي في كل يوم تتمنين صحبتي، وكنت أنا غائبة.. اليوم وبعد رحيلك أتمنى يوما واحدا معك.. سأرضى ولو بيوم واحد.

هل تعرفين؟!! لو أن الله كتب لك العودة ليوم واحد.. يوم واحد فقط، كنت سأقضيه كله معك.. كنت سأترك جسدي لأحضانك دون تذمر.. كنت سأترك وجهي تغرقينه بقبلاتك كالعادة دون تململ.. لم أكن لأحرم نفسي من حديثك، حتى وإن لم يثر اهتمامي.

هل تصدقين؟!!!.. كنت سأسامحك عن كل شيء، وكنت سأعتذر

fb/mashro3pdf

عن كل شيء.. لم أكن لأقيم لكِ تلك المحاكمة السخيفة التي اعتدت أن أقيمها في كل لقاء بيننا.

يوم واحد فقط معك هو كل ما أتمنى.. يوم آخر تظلين فيه معي.

- ماما...ماما..ماما.. اصحي الشمس نورت.. ماما الصبح جه

هكذا أيقظتني ابنتي الصغيرة، ببراءتها الجميلة، ووجهها الذي يحمل ملامحك، وبصوتها الرقيق الذي يحمل نبرات صوتك.

هل كان حلما؟.. هل كان رحيلك مجرد حلم؟ هل رزقني الله يوما آخر معك.. وترى هل سأقضي هذا اليوم بين أحضانك؟!!!! أم سأكون غائبة كالعادة.

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

يوم ممطر آخر.. وقفت أسفل الشرفة يرتعش قلبي من البرد، في انتظار صديقتي {صفاء} لنذهب سويا إلى المدرسة. كان من الممكن ألا أذهب إلى مدرستي الثانوية في ذلك اليوم، ولكني أردت أن أقابلها. كانت صفاء فتاة على قدرعالٍ من الجمال، مستوى ذكائها أعلى من المتوسط، كلماتها المرحة لا تخفي ذلك الحزن الذى يبدو واضحا بعينيها، صوتها الصاخب لا يخفي حيرتها واختلاط مشاعرها.. عندما تراها أو تتحدث معها، قد تتعلق عيونك وأذنك بها، أوقد يتسرب الملل إلى نفسك. وأحيانا لا تشعر بشيء على الإطلاق.

ولكن بالنسبة لي، لا أتذكر السبب الذى جعلني أتعلق بها، ولا أتذكر لماذا أعتبرتها في ذلك الوقت صديقتي المقربة، وفضلتها على كثير من الصديقات. كان يحلو لي في كل يوم أن أمر عليها لكي نذهب إلى المدرسة سويا، فبيتها يقع في آخر الحي الذى نسكن به. تجمعنا أحاديث الفتيات عن الحب، وعن المشاكل العائلية، وعن الدراسة أحيانا. ومع مرور الأيام، أصبحت ثقتي بصفاء عميقة، وحبي لها كصديقة مخلصة حبًا كبيرا.. أسراري كلها معها.. وأحلامي هي بالنسبة لها كالكتاب المفتوح. لم أسأل نفسي يوما هل تستحق علاقتنا كل هذا التبجيل من ناحيتي، وهل أعني لها الكثير كما تعني لي الكثير، أم لا..

fb/mashro3pdf

أعماني غروري وثقتي بنفسي والتفاف الأصدقاء حولي، فلم أشك في إخلاصها وحبها لي أبدًا.

مضى وقت طويل، قبل أن أكتشف حقيقة صداقتنا. مرت أيام، لا أذكر منها شيئا الآن، قبل أن أكتشف أني بالنسبة لها مجرد صاحبة طريق، بيوتنا جنب بعض وطريقنا للمدرسة واحد. اكتشفت ذلك حين نقلت لي إحدى الخبيثات كلماتها تلك..

تذكرت حينها نبرة السأم التى كانت تبدو واضحة في صوتها، حين أستفيض في الكلام عن أمر ما.. وتذكرت تجاهلها لطلبي المستمر لها بزيارتي.. وتذكرت ذلك الجفاء الذى كان يكسو علاقتنا في فصل الصيف، حيث الإجازة السنوية. جالت بخاطري أمور كثيرة، لم أستطع تفسيرها من قبل، والآن بدا تفسيرها سهلا واضحا.

لم أفكر وقتها في معاتبتها أو سؤالها عن حقيقة ما سمعت، وهل صدر عنها ذلك القول حقا.. لم أستطع؛ لا أعرف لماذا، ولكني فقط لم أستطع. لم أرِد وقتها أن أصدق أنني غبية ومخدوعة، أو أنني لا أستطيع الحكم على البشر.

واستمرت علاقتنا.. واستمر ذهابنا وإيابنا معا. ولكن حين جاء الصيف، قررت أنه من حقي أن أكتشف حقيقة ما سمعت.

fb/mashro3pdf

ولكن كبريائي منعني من أن أسألها عما سمعت مباشرة، أو لعلي خفت أن أسمع منها ما يجرح كبريائي أكثر، فقررت أن أنقطع عن زيارتها وعن محادثتها تليفونيا، لأرى ردة فعلها ناحية غيابي. وكم كان غيابها مؤلما.. مؤلما حقا.. كنت أفتقدها كثيرا، وأفتقد حديثنا معا.. وشعرت بزلزال يغير كل حساباتي ومفاهيمي عن نفسي وعن الآخرين.. وطافت بذاكرتي صور لصديقات تهافتن للحديث معي ولكنني كنت دوما أجيب عليهن بسأم، كما كانت تفعل معي صفاء. وتذكرت صديقات كن يأتين لزيارتي مرة تلو الأخرى، آملين في أن تقرب تلك الزيارات بيننا، وكيف أني لم أنتبه لغيابهن حين انقطعن عن زيارتي. وكيف أنه لم يخطر ببالي قط قدرالحزن والإهانة التي شعرن بها بسبب تجاهلي المستمر لهن.

ولا أعرف لماذا شعرت حينها أن ما حدث معي كان عقابا لي على تجاهلي لهن. كان خطئي كبيرا حين وضعت ثقتي وتقديري بمن لا يعنيه أمري كثيرا، وتجاهلت كثيرا من الصديقات كن أجدر بهذه الثقة وبهذا التقدير، وأغمضت عيني عما كان واضحا وضوح الشمس.

كان درس قاسيا على كرامتي وكبريائي، ولكني مع الوقت تمكنت من استيعابه واعتقدت حينها أنني تمكنت من تخطي الأمر تماما،

fb/mashro3pdf

وأنني كنت أعطي الأمور أكثر مما تستحق. وحين باعدت بيننا الدراسة الجامعية، كنت أتذكر تلك الأيام وأتعجب كثيرا من نفسي.. كيف أنني كنت حزينة ومحبطة إلى هذا الحد؟...

وتخيلت لفترة أني قد تخلصت تماما من تلك المرارة، التى شعرت بها نتيجه لما حدث. وعندما التقينا منذ سنوات.. كانت قد أصبحت أيام الثانوية مجرد تاريخ.. تزوجت أنا وأنجبت أطفالا، وتزوجت هي وأنجبت أطفالا.. ولكن رغم مرور السنوات، إلا أن مرارة ما حدث وقفت بيني وبينها، فتبادلنا التحية سريعا وافترقنا، كل واحدة منا في اتجاه.

ولا أعرف كيف سمحت أنا لهذه المرارة أن تعلق بروحي، حتى أني لم ألتفت لطفلتها الجميلة التى تعلقت بملابسي، محاولة لفت انتباهي ببراءة رائعة. لم أهتم لملامح الإعياء التى بدت واضحة في وجه صديقتي القديمة، فلم أكلف نفسي العناء حتى بسؤالها عن سبب هذا الإعياء والذبول، اللذين يكسوان وجهها الجميل.. لعلي أيضا شعرت ببعض السعادة حين بدوت أكثر جمالا وشبابا منها!.. وحين همت هي بقول شيء، شعرت أنا أنها كانت تستجمع شجاعتها لتقوله، قاطعتها بتحية الوداع، فصمتت وفى عينيها نظرة حزينة.. ولم أفهم تلك النظرة في حينها..

fb/mashro3pdf

ولكنني كنت سعيدة لأني عاملتها بإهمال وتعالٍ، ولو أني لم أعترف لنفسي بذلك بوضوح. ولكن حين سمعت خبر وفاتها بعد هذا اللقاء بفترة قصيرة، صدمني الخبر بشدة جعلني أستفيق وأتعجب من قسوتي معها وأتساءل: -

لماذا تصير قلوبنا مع مرور الأيام أكثر سوادا، وتصبح روحنا أكثر قتامة.. مع مرور الأيام تفقد الحياة بريقها، وتشيخ أرواحنا.. فمنا من تشيخ روحه بسرعة، ومنا من تشيخ روحه ببطء، كل منا بحسب قدرته على جمع المرارات.

fb/mashro3pdf

انتهى الوقت!

fb/mashro3pdf

قالت لي: يجب عليك زيارته، إنه يحبك.. حتما سيفرح برؤيتك.

تأخرتِ على زيارته.

أجبتها: لا أستطيع اليوم.

قالت: عزيزتي، سيسافر لإجراء العملية غدا أو بعد غد.. لن يكون أمامك متسع من الوقت لتوديعه.

وبكت!

أجبت بعصبية: سنرى..

جلس أخي بجواري، وهمس في أذني: حالته الصحية متأخرة، ربما تكون هذه زيارتك الأخيرة له.

يا إلهي!.. إنهم لحوحون جدا.. مشغولة أنا.

في المساء، استعددت للنزول لزيارته، وقبل أن أتحرك عادت هي من الخارج، قالت: انتظروني، سآتي معكم.

بعصبية أجبتها: ماما، سنتأخر

بدموعها أجابت: لن يحدث أن تذهبوا بدوني، إنه أخي.

شعرت بالغيظ، فلا مجال للمجادلة هنا.. هي محقة، ولو طلب مني إعطاؤها درجة تعبر عن مدى منطقية كلامها، لأعطيتها عشرة كاملة من عشرة.. أو ربما اثني عشرة.

fb/mashro3pdf

كعادتنا تأخرنا، سنصل بعد أن يكون باب الزيارة قد أغلق، وسيكون كل هذا المشوار على (الفاضي).. أشعر بالغضب والعصبية.. غاضبة منها إلى أقصى حدود الغضب. كان لدي التزامات كثيرة اليوم، لم يكن اليوم مناسب للخروج من الأصل، بالإضافة إلى أنها أخرتنا.

جلست في الكرسي الخلفي للسيارة، وجلست هي إلى جواري.. ألقيت بنظري خارج النافذة، فانسالت من عيني دموع لم أحسب حسابها. أشحت بوجهي بعيدا جدا، حتى لا ترى دموعي.. أفرك يدي ببعضهما من فرط التوتر، وأشعر بالصداع وبالفوران يسري في جسدي من فرط الارتباك، وأحاول الخروج من كل هذا دون فائدة.

لم أكن أريد زيارته، ليس لانشغالي طبعا، هو أغلى عندي من كل انشغال ظللت أحاول إيقاف دموعي وتهدئة نفسي بالتفكير في شيء أحبه، فلم يسعفني الخيال إلا بصورته.. (سنصل على الموعد وسأتمكن من رؤيته.. سيراني ويتهلل وجهه لرؤيتي كالعادة.. سيبتسم لي رغم تعبه، ويلومني على التأخير عن زيارته كل هذه المدة، وسيقول كلمته الشهيرة: لا أكلمك. سأراضيه بقبلة على جبينه وأحتضنه، فيضمني ويقول: لو تعرفين غلاوتك!)

: طوال الأسبوع أخلق لنفسي أعذارا لا تنتهي، كي لا أذهب إلى

fb/mashro3pdf

زيارته. ولم يكن في نيتي أن تنتهي، ثم تأتي هي لتجبرني على مواجهة ما أفر منه. لا أريد الذهاب لزيارته اليوم، ولا الغد، ولا بعد غد. ينكر عقلي حقيقة أنه مريض من الأصل، لا أريد تصديق أنه مريض، فما الحال في رؤيته وهو يحتضر.. لا أريد رؤيته وهو يحتضر.. لا أريد رؤيته وهو يتلاشى.. أريد أن أكذب على نفسي، أقنعها أن كل شيء تمام.. أريد أن أكذب وأكذب، حتى يصدق الكون كله كذبتي.. حتى تصدق الساعة كذبتي، فربما تعود إلى الخلف، حين كان كل شيء بين أيدينا حاضرا: هو والوقت والصحة والمرح والكلام.. حيث كان لدينا كل الوقت لنقول كل الكلام، ولنفعل كل الأشياء، ولنفكر فيما كان من المفترض أن نفكر فيه.

أنا أفتقده منذ الآن، منذ الأمس، ومنذ أول أمس.. بل منذ أعوام مضت.. أفتقد للسانه اللاذع، ولنقده الذي لا ينتهي.. أفتقد لاحتضانه دون أن يفصلني بطنه المنتفخ عدة أشبار عنه.. أفتقد لرؤيته وهو يتحرك بحيوية، يتقافز كعادته القديمة، وكأنه شاب في العشرين.. أفتقد لنفسي وأنا معه، وكأني في الحياة كطفل صغير يلهو على مقربة من والده، يقوم بالشقاوات والشقلبات والحركات البهلوانية، وعيناه على والده يستمد منه الثقة، وينتظر الإعجاب والتصفيق، هو بالنسبة له كل الجمهور.. وهو بالنسبة لي كل الجمهور.. ستصبح حياتي بفقده كمسرحية بلا مشاهدين.. مجموعة

fb/mashro3pdf

من الممثلين الحمقى، يتحركون بلا هدف.. أفتقده وأريد أن أبكي مائة عام، ولا أتوقف، ولا أريد أن أضبط نفسي وأنا أبكي، ولا أريد أن يضبطني أحد. لا أريد أن أبكي عليه قبل أن أفقده، ولا حين أفقده.. لا أريد أن أتذكر كل أيامنا، المليئة بالحب والقوة والأمل واللهفة للغد ولأن نصير كبارا، ونهايتها بكاء.. أريد أن أحتفظ بالذكرى في قلبي خالصة بلا بكاء.

****

وصلنا قبل أن يغلق باب الزيارة بلحظات قليلة.. وأنا على باب ممر العناية المركزة، كان قلبي يخفق بقوة، وأتمنى أمنيات، أعرف مسبقا أنها لن تحدث، ولكنه ذات الأمل الذي دفع أم موسى لإلقائه في اليم بيدها، لتنقذه من موت محتمل.. هو ذات الأمل الذي أفنى يعقوب عمره باكيا ينتظره، حتى فقد عينيه.. إنه ذات الأمل الذي وقف زكريا حاملا إياه يطلب من الله الولد وهو شيخ كبير.. إنه الأمل في وجه الله، ذلك الأمل الذي لا ينقطع.. ذلك الرجاء الذي يدفع أرواحنا الحبيسة داخل أجسادنا للصبر على ضعف هذا الجسد.

عند الباب، أعطاني العامل كمامة وغطاء رأس، كنت أكثر منه حرصا على

fb/mashro3pdf

أخذهما وارتدائهما قبل تجاوز باب الممر. تمشيت لحجرته بضع خطوات، وبدا لي وكأنني أمشي وسط أيام العمر وسنواته، وكأني أسير بسرعة جنونية، للماضي تارة وللمستقبل تارة، تتعرق يدي وأنا أعتصر المنديل الورقي لأطمئن في كل ثانية أنني أحمله، خوفا من أن تهاجمني نوبة بكاء مفاجئة.

على سريره، كان متمددا، يعتصر الألم كل ذرة في جسده، ويحتقن وجهه بآهات كثيرة، لا رغبة له في إخراجها، وكأنه يدخر الشكوى كلها لله وحده. يتصل جسده بانابيب وأسلاك وخراطيم، وبين ضوء الحجرة الخافت يفتح عينيه المتعبتين ليتعرف على الزائرين. رآني، فابتسم، وأخذ يتأملني بحب وشوق الأب لابنته.. اقتربت منه، وأنا أحاول الإمساك بدموعي قدر استطاعتي.

قال: أهلا

قلت: إنه أنا.....

ثم وقفت الكلمات في حلقي.. أردت أن أسأله كيف حالك، ولكني لم أستطع.. أردت أن أحتضنه وأخبره أنه أوحشني، فلم أستطع.. أردت أن أجلس بجواره ليحكي لي وأحكي له، كما كنا نفعل دائما، فلم أستطع.. أردت أن أخبره أنني سأظل أفتقده حتى ألحق به، فلم أستطع.. وكم وددت ألا أبكي..!

fb/mashro3pdf

فقط أمسكت بيده لأقبلها، فجذبني إليه، فاقتربت أكثر، فجذبني أكثر.. وتكلم، فلم أفهم.. أصغيت سمعي أكثر لأسمعه، قال لي بصوت لا يكاد يسمع، وبكلمات تخرج ثقيلة من فرط الألم:

- هل تبكين عليّ؟!!..عليّ أنا!..لا تبكِ.. أنا أحسن منك حالا.

وهمس بفرحة: سأشفى من أوجاعي كلها عما قريب.

وربت على يدي بحب، ثم ضغط عليهما ضغطة وداع، ونادى العامل لدى الباب أنه قد انتهى الوقت..

وانتهى الوقت.

fb/mashro3pdf

عيد الربيع

fb/mashro3pdf

تكون الحياة في أعياد الربيع أكثر وضوحا وأكثر تألقا، لا تستطيع أنت مجارتها مهما حاولت. في ذلك اليوم البعيد، حاولت أنا!

كان يوم عيد الربيع، وكنت في عامي التاسع، وللمرة الأولى تقوم أمي بدعوة كثير من الأقارب وأصدقاء العائلة المقربين، ولا تكون حذرة تجاه العدد المدعو.

عند الظهيرة، كان كل شيء معدًا، وكنت أنا أرتدي ملابس تليق بمضيفة صغيرة تحتفل بالربيع، وفي تماما الثانية ظهرا بدأ الضيوف بالتوافد، وامتلأ بيتنا، الغني بدفء مشاعر أهله، المتواضع في أثاثه، بكثير من الضيوف الذين اصطحبوا أطفالهم. وكان عليَّ أنا أن أترأس هذا الوفد الكبير من الصبية والبنات، ولم يكن قد حدث من قبل أن أصبحت في هذا الموقع الهام أبدا. لذا، كنت في قمة سعادتي وحماسي لقضاء يوم رائع، بروعة الربيع.. وانطلقت بهم إلى الباحة الخلفية لبيتنا، وكلهم يتبعونني لا يعصون لي أمرا. كنت لحظتها في قمة النشوة والفرح، وظللنا لبعض الوقت نلعب بمرح طفولي رائع، نبتكر الألعاب من أبسط الأشياء، ونمضي خلف اللحظات المرحة، نجمع منها ما نشاء.. يطفو على المكان كله حالة من البراءة والسعادة تناسب الربيع وتجاريه في جماله ونقائه.

fb/mashro3pdf

حتى ظهرت (علياء)، تلك الفتاة التي تكبرني بعام أو يزيد، وتعامل الجميع بتعال لكونها الأكثر ثراءً وجمالا؛ كما تدعي. في كل أيامي قبل هذا اليوم، كانت علياء تشكل عائقًا كبيرًا يقف بيني وبين الاستمتاع بطفولتي والثقة بنفسي.. وفي هذا اليوم بالذات، ومع هذا الوفد الكبير من الأطفال، تخلصت أخيرا من هذا الشعور الثقيل بالتوتر الذي تبثه داخلي بتعاليها وتقليلها من شأني. حين رأيتها تقترب وتتطلع لمشاركتنا كل هذا المرح والصخب، راق لي أن أتباهى بنفسي وأن أحصل على المزيد من النشوة.. أخذت أبتكر ألعابًا صعبة، وحركات بهلوانية خطرة، لأبهر الحضور، لعلي أرى تلك النظرة على وجهها.. نظرة الانبهار والتقدير. وفي لحظات، ودون أن أفهم طبيعة ما حدث، وبينما كنت أتسلق تلك الشجرة العالية، انفلتت يدي وسقطت على الأرض من ارتفاع كبير جدا، وأصيبت رأسي إصابة، ربما كانت بسيطة بالنسبة لخطورة السقطة التي سقطتها، ولكنها أفسدت يومي.

حين سقطت، جرحت رأسي، وانهال الدم من الجرح بشكل مفزع، يصعب معه معرفة مدي خطورة الجرح. حملني أبي إلى قسم الطوارئ بالمشفي القريب، وقام الطبيب بتقطيب الجرح، الذي أخذ وقته ثم شفي واختفى مع الزمان أثره. بينما لم انسي درسي أبدا.. اكتشفت

fb/mashro3pdf

حين صرت أكبر سنا واكثر وعيا أن علياء وأمثالها ليسوا مسؤولين عن سرقة أيامنا الجميلة أبدا.. في حقيقة الأمر نحن من نفعل.. لم اكن مضطرة لأثبات أي شيء لها هناك في ذلك اليوم ولم أكن مضطرة لفعل ما فعلت.. انا التي شعرت بأهمية تلك الفتاة وأعطيت لوجودها أهميته وراق لي أن اتباهى أمامها وطمعت في المزيد من نشوة الانتصار فسقطت .

fb/mashro3pdf

الفستان الأحمر

fb/mashro3pdf

عند تمام العاشرة، وصلت.. تبدو في فستانها الحريري الأحمر أصغر سنا وأكثر حيوية.. تعلو ضحكاتها وهي تصافح الجميع بود، وتبدو تماما كامرأة سعيدة. منذ سنوات وهي تقاوم، ترفض السقوط، ترفض الاعتراف بالهزيمة. ملامحها الرقيقة تخفي سنوات عمرها، وعيناها تدربتا على الكذب لسنوات، حتى اكتسبتا المهارة الكافية لادعاء السعادة بثبات.

من الصعب الليلة -وهي بهذا الفستان الملتصق عند الخصر والمنسدل من بعده، وبهذا الوجه الرقيق والعينين الكاذبتين- أن تعرف أنت أو تفهم أو تتخطى الهالة حولها، أو تفطن لشيء من غموضها. هي الليلة واضحة جدا، واضحة وضوح كاذب، تماما كاللون الأحمر.

تصافحهم بود مصطنع، وبأحاديث فارغة.. تتجاذب معهم أطراف الحديث، وبينها وبينهم خيوط وهمية تربطها بهم رغما عنها. تتفكك روحها إلى أجزاء، حين تتذكر خيبات أملها المتكررة معهم.. تسحب أنفاسها بصعوبة، تقاوم نوبة بكاء تجتاحها فجأة، ويخطر لها أن تتحرر!

تفكر أنه ربما آن الآوان لتولد من جديد، طفلة نقية على الفطرة.. الطفولة لا تعرف الذكريات، ولا تعرف خيبات الأمل.. الطفولة لا تعترف بغضب مكتوم مدخر داخل الجسد.. أجساد الأطفال وقلوبهم

fb/mashro3pdf

نظيفة، والفطرة هي شيء نقي يكمن بداخلنا، ينتظر أن يتحرر.

هذه الخيوط الوهمية، التي تربطها بهم، تمدها برصيد من الغضب والحزن والذكريات المرتبكة، ويروق لها الليلة أن تقطع تلك الخيوط، وإلى الأبد، لتحرر نفسها.. لتعفُ إذًا اليوم، وتصفح عن كل ما مضى، وكل من مضوا، ولتحتفظ بجسدها نقيا من الغضب والكره والألم.. ولتتحرر.

fb/mashro3pdf

أعشاب مهدئة

fb/mashro3pdf

وقفت أتابعها وهي تعبث في دولاب مطبخي بعصبية.. أصابها الأرق كعادتها، فجاءت تبحث عن مشروب مهدئ. ولكنها لا تملك حس أنثى في البحث عن الأشياء، ولا نفاد صبر رجل. حائرة هي بين أنوثتها التي كانت طاغية، وطبعها الرجولي.. فلا هي وجدت ما تبحث عنه، ولا هي ملت البحث.

بشعرها القصير هذا، ومنامتها القطنية الفضفاضة، وجسدها الذي كان أيقونة للجمال ذات يوم، وأفسده طول الأرق.. يساورني إحساس بأنها -ككثير من النساء الجميلات- تعاني من متلازمة (لست جميلة فقط) لا يساورني الآن شك، وأنا أراها تتحرك بتثاقل وعصبية، أنها ربما أفسدت هذا الجسد متعمدة.. أفسدته لتنتقم منهم جميعا.. كل من تجاهلوها، وكل من اشتهوها، وكل من لم ينصتوا، وكل من أحبوها بصدق، ولم يمتلكوا الشجاعة الكافية.

التفتت إليّ بعصبية وقالت: أين أي شيء؟

بهدوء مددت يدي، لأسحب من الدولاب مغلفين من الأعشاب المهدئة، ثم صنعت فنجانين لي ولها. وضعتهما على الطاولة، ودعوتها للجلوس. لم ترد، وتناولت فنجانها واقفة.. تجاهلتها، فجلست أمامي ترشف فنجانها في صمت، وتتفادى النظر إليّ.. يمكنني بوضوح رؤية

fb/mashro3pdf

ذلك الحزن الكامن في أعماقها، وببساطة يمكنني فهم أنها كفت عن الكلام منذ زمن.

أنهت فنجانها وهي لاتزال صامتة، ولا تزال غاضبة. هبت واقفة لتعود إلى فراشها، وفي طريقها إلى الباب همهمت (تصبحين على خير) دون أن تلتفت.

منذ أسبوعين، حين أخبرني زوجي بأننا سنستضيفها لبعض الوقت، لم أعارضه رغم معاناتي مع التوأم ومعه.

ومع اقتراب موعد وصولها، كان فضولي يقتلني لأرى تلك المرأة التي كانت نجمة في سماء السنيما يوما ما، وأعيش معها عن قرب، لأرى كيف يكون النجوم. وتخيلت حين تصل أني سأرى حقائب النجوم، وأغراضهم الكثيرة.. ولكني رأيت امراة تعيسة، تبتلع احزانها وخيبات أملها المتراكمة.. امرأة تتحلى بالصمت، وتحمل عيناها نظرات غضب حائرة، وتبحث طوال الوقت عن شيء ما، لتصب عليه مشاعر الغضب التي ادخرتها عبر الأيام والسنين.

وعلى الرغم من صمتها وانطوائها وقلة طلباتها، إلا أنها أتعبتني بأحزانها، التي تجول في البيت فتثقل أجواءه، وتنطبع على البيت كله.. حتى التوأمين، صارا أقل بكاءً وأقل مرحا.

fb/mashro3pdf

: لازلتِ جالسة هنا

ألتفت لأجدها واقفة لدى الباب.

: كنت سأقوم حالا، هل تريدين مساعدة؟

: أريد كوبا آخر من الينسون من فضلك

: لا مشكلة، نام التوأم بعدما طار النوم من عيني

: متعبين ها؟!

: جداااا

: أوتدرين؟!! كان لديَّ توأم مثلهما ذات يوم.

: توأم!!!!!!

وعلى غير عادتها ابتسمت.. كانت ابتسامة باهتة، ولكنها ابتسمت..

وقالت: هل فكرتِ يوما في التخلص من التوأمين؟

أنهيت تحضير الفنجان، ووضعته امامها وقلت:

: تفضلي... التخلص ممن؟!!!! لا أفهم السؤال

أشاحت بيدها في الهواء، ورفعت بالأخرى الفنجان إلى فمها، ورشفت رشفة ثم قالت:

: لا عليك.

قلت:

fb/mashro3pdf

: الأولاد متعبون جدا، لكن وجودهم في الحياة يجعل لها معنى. أحيانا بالطبع أفكر كيف الحال لو أنهم ليسوا هنا.. بالتاكيد راحة أكثر، ترتيب أكثر، وحياة أسهل، وحرية. ولكن حين أنظر إليهما وهما نائمان في وداعة أو يلعبان في بهجة، أشعربأنه لا مشكلة في بعض التعب، لو أن هذا سيجعل للحياة معنى. لم أفكر أبدا في التخلص منهما، لم يخطر ببالي أنه حل متاح.. ولكن كيف تخلصتِ أنت من توأمك.

تنهدت تنهيدة عميقة وقالت: لا عليك

ثم لاذت بالصمت، وأدارت وجهها تجاه النافذة، وشردت عيناها بعيدا.

لا عليَّ!!.. كان لدي يقين بأن هذه المرأة تخفي أسرارا كثيرة مثيرة، ولكن ليس لحد التخلص من الأطفال!.. ليتها ما تكلمت. ولكن الآن، وبعد أن تكلمت، عليها أن تحكي ولا تتوقف.

بعد فترة من الصمت، لم يقطعها إلا صوت رشفاتها للينسون، قالت بصوت مثقل بالهموم: هل تحبينه؟!

: أحبه؟!

: نعم، هل تحبينه؟

: تقصدين زوجي؟

fb/mashro3pdf

: نعم أقصده

:.....بالطبع أحبه

: بالطبع! ولماذا يكون بالطبع؟ لماذا لا يكون اختيارًا؟!.. تحبينه أو لا، على راحتك

: أقصد....لماذا أعيش معه إن لم أكن أحبه؟!

قالت: قولي لي أنت

قلت: على الرغم من أن تعارفنا كان عن طريق الأهل، ولكني شعرت بالراحة تجاهه، وتزوجنا بعد سنوات من الخطبة، كانت كافية لننسجم سويا و...

: سألت سؤال بسيطا، وها أنت تحكين لي قصة طويلة.. لا يهم.. كان لدي شك في شيء ما، وقد تأكد.

أجبتها بعصبية:

: نعم أحبه..

وتعجبت من نفسي.. لماذا أهتم إن صدقتني أم لا؟ ولماذا أسمح لها بمحاصرتي؟.. ما الذي أحاول إثباته هنا؟!

: فعلا؟!!

: فعلا!

fb/mashro3pdf

: ولماذا أنت حزينة إذًا؟ تتحركين بلا بهجة، وكأنك موصلة بأسلاك كهربائية، وتثورين لأتفه الأسباب، حتى معاملتك مع التوأمين بها خلل لا أفهمه.

كان عليَّ أن أخبرها أنه ليس من شأنها أن تفهم، ولكني كالمنومة أجبت:

: لا شيء، إنها مسؤلية ثقيلة توترني وتحرق أعصابي.. توأم صغير وزوج وبيت كبير، وأنا التي لم تكن في بيت أهلها تنقل قشة من مكانها.. لم أكن أتحمل مسؤلية حجرتي حتى.

ضحكت ولم تتكلم.. لماذا تضحك مني هذه المرأة؟ ما الذي يضحكها؟.. لن أضايق نفسي، إنها امرأة خرفة على أية حال. أتحملها في بيتي منذ أسبوعين، وهي تضحك مني.. لماذا أتحدث معها من الأصل؟ إنه خطئي.. انتصف الليل، ولم يكن عليَّ الاستسلام لفضولي منذ البداية.

قلت بعصبية: لم يكن عليَّ السهر إلى هذا الوقت.. تصبحين على خير.

تغيرت حدتها وقالت بهدوء: أغضبتك!! أسفة. تعتقدين كغيرك أنني مجنونة، ها؟!.. ولا ألومك أو ألومهم، ولا حتى ألوم نفسي.. مضي وقت اللوم والعتاب، مضى وقت التفكير فيما كان وما سيكون،

fb/mashro3pdf

وما كان يجب أن يكون.. لم أفقد عقلي بعد، ولم أفقده يوما. كنت أجملهن..أجملهن جميعا.. فتيات المدرسة، والعائلة، والشارع، وربما المدينة بأكملها.. كنت أجملهن وأكثرهن جاذبية وبلا منازع.. تطاردني عبارات الإعجاب ونظرات اللهفة أينما ذهبت، وأنا لا أهتم. ولماذا أهتم؟ أنا بالنسبة للجميع صورة جميلة، تتمتع عيونهم بالنظر إليها، أما أنا.. أنا التي هي في الحقيقة أنا.. من يهتم لها؟ من يسأل عنها؟..

توفي والدي وأنا في السادسة، وتزوجت أمي فأنتقلنا للعيش في بيت جدي لأبي. كان رجلا طيب القلب، أحبنا جميعا بصدق، وأنفق علينا بوفرة، وكأننا أطفاله ولسنا أحفاده. كان يدللني أنا بالخصوص، ولا يرفض لي طلبا وينادني (أميرتي الصغيرة) ويدللني كأميرة.. كان يغيظ هذا زوجته (الثانية) وأبناءه، ولكنه لم يكن يلتفت لهم ولا لحيلهم في الإيقاع بيننا وبينه. ولكنه -كأشياء جميلة كثيرة- ذهب..توفي.. فتولى عمي الكبير مسؤليتنا، وأصبح الوصي الرسمي علينا وعلى أملاكنا التي ورثناها عن أبي، والتي أوصى بها جدي لنا، ولم تكن قليلة.

كان أخواي وأختي مطيعين مهذبين، علم اليتم على أرواحهم وأخضعهم الخوف.. أما أنا فكنت كثيرة الكلام، متمردة، وطويلة اللسان.. أسأل، وأتكلم، وأثير المشاكل لعمي بالسؤال المستمر عن

fb/mashro3pdf

ميراثنا، فيما ينفق وأين ومتى؟..فلم يكن أمامه إلا أن يتخلص مني، فقام بتزويجي بأول خاطب طرق بابي، وكنت في الخامسة عشر. رفضت بشدة، وتشبثت برأيي.. وحين ضاق الحصار عليّ، كنت ساهرب من البيت وأسبب له وللعائلة كلها فضيحة كبيرة، لولا خوفي على أخوتي.. لذا أستسلمت في النهاية وتزوجت.

أسندت ظهرها إلى الوراء محاولة الاسترخاء في جلستها، وأخرجت من جيب منامتها علبه سجائر من نوع فاخر، وأشارت إليَّ مستأذنة في إشعال واحدة.

قلت: دعينا نخرج للشرفة حتى لا تتسرب الرائحة لحجرة التوأم.

باستسلام قالت: لا مشكلة.

وعلى أطراف أصابعنا خرجنا إلى الشرفة، وهناك أخذت تتأمل جوانبها الملأى بأحواض الزرع وقالت:

: كلما رأيت شرفتك تعجبت منك، كيف لواحدة مثلك، تشتكي من مسؤلية البيت والأطفال والزوج، أن تهتم برعاية كل هذه المزروعات المختلفة في أشكالها وألوانها ومواعيد ريها.

قلت بتفلسف: أحب اللون الأخضر.. أحب رؤية إعجاز الله فيه وهو يكبر ويتلون ويخرج أزهارا مختلفة الأشكال والألوان والرائحة..

fb/mashro3pdf

تكون الزهرة برعما صغيرا، ثم تصبح يانعة زاهية ملأى بالرائحة، ثم تذبل وتسقط، ثم تختفي كما لو أنها لم تكن هنا يوما.. لو غبت عن الشرفة يوما أو يومين ربما تزهر وتذبل وتسقط زهرات كثيرات.. تعيش وتموت وتخرج رائحة جذابة، ثم تختفي دون أن يشعر أحد بوجودها.

أخذت نفسا من سيجارتها وقالت: وما المشكلة في ألا يراها أحد؟! من أخبرك أن أمرا كهذا قد يعنيها، ومن قال لك إنها قد تحتاج لأن يفسد أحدهم خصوصيتها ويقحم أنفه وعينيه بين أوراقها بحجة أنها جميلة؟.. يا عزيزتي ربما كانت الخصوصية والهدوء هما كل ما تحتاجه.

: ليكن!! هذا ما أشعر به وكفى!

: كان لدي في أول شقة سكنت بها شرفة تشبه هذه كثيرا، ولكنها كانت خالية تماما. لا يخرج إليها إلا الخادمة، تنظفها مرتين بالأسبوع، ولو أن أسبوعا مر دون أن تأتي، يتراكم التراب بها ولا أحد يهتم.. كان زوجي يغار عليَّ من نفسه، يمنعني من الخروج إلى الشرفة، ومن زيارة أهلي، ويصطحبني لزيارة أهله مرة في الشهر أو مرتين. في بداية الأمر، حاولت التأقلم، ولكن بعد تلك الليلة تأكدت أنه من المستحيل أن أستمر.

سألتها بفضول: ماذا حدث؟!

: لم يحدث شيء ذو أهمية.. كل ما حدث هو أن ارتديت فستاني

fb/mashro3pdf

الأزرق، ورفعت شعري (شنيوه)، ووضعت قيلا من مساحيق التجميل، وتوجهت أنا وزوجي إلى حضور حفل زفاف أحد أفراد عائلته، ذي المنصب المرموق، والذي لم يكن زوجي ليستطيع تجاهل دعوته. وهناك رأيته!! شاب في بداية عامه الثلاثين، يقف بقامته الطويلة وعينيه الساحرتين في منتصف القاعة، وكأنه الوحيد هناك.. يلتف الكل حوله في اهتمام بالغ، وهو يلقي النكات والقفشات يمينا ويسارا، ويوزع نظرات الإعجاب على الفتيات المهتمات بالتساوي، حتى لا يخسر إحداهن.

لم أكن مهتمة كثيرا بما إن كان ساحر العينين أم لا، ولم أكن لأهتم أبدا بأن يلتفت إليَّ.. كل ما كنت أفكر فيه هو متى ستنتهي هذه الليلة المملة، ومتى ستنتهي هذه المسرحية الهزلية!.. نساء متخذات لزينتهن، يبحثن عن إعجاب الرجال، ورجال متأنقون يقلبون أعينهم في نساء غيرهم. النساء يضحكن بسبب وبدون سبب، وكأنهن مبسوطات حقا، وكأن السعادة تسكنهن ليل نهار، وكذلك الرجال.. الكل هنا يرتدي صورة غير صورته، والكل يضحك ضحكا كاذبا، وهذا الشاب الساحر الواقف في منتصف القاعة يعطيهم جميعا مبررا حقيقيا ليبدوا مرحين أكثر ولطفاء بشكل لا يصدق. وهذا المرح المفتعل جدا يثير ضجري من الجميع، ولو أنهم فقط جلسوا في أماكنهم والتزموا الصمت، لكان الأمر أكثر احتمالا.

fb/mashro3pdf

أخذ يحاصرني هو بنظراته بلا انقطاع، ولم أكن مهتمة في البداية، حتى سمعت من زوجي أنه عائد للتو من أمريكا، بعدما أنهى دراسة الإخراج السينمائي، وأنه يحضر الآن لأول أعماله، ويبحث عن وجه سينمائي جديد. حرك ما سمعت حلما طفوليا قديما، كان يداعبني عندما كنت طفلة صغيرة يدللني جدي وينادني بأميرتي.. حلما بأن أصير نجمة سينمائية، تدور الدنيا حولها وتصير أميرة على عرش النجومية، يعاملني العالم كله كأميرة، كما كان يعاملني جدي رحمه الله. وجدتني بدون أن أدري أخرج كل اسلحتي، أرصها أمامي وأختار منها ما سأبدأ به التصويب تجاه هذا الشاب الساحر.

شهور قليلة، وكنت قد انفصلت عن زوجي، وأستعد لخوض أولى تجاربي السينمائية.. وتنازلت لزوجي عن حقوقي، ولعمي عن ميراثي، وقاطعني أخوتي.. وقتها، وبعد إتمام الطلاق، مرت الأيام سريعا، وارتفعت شهرتي.. فيما بعد، تزوجت هذا الشاب، وكانت الأمور بيننا رائعة في الشهور الأولى، ثم بدأت شهرتي في الازدياد، وارتفع اسمي في سماء السنيما سريعا، بينما كان هو بطئ الخطا، ولم يحقق نجاحا يذكر.. في البداية حاول السيطرة علي ومنعي من العمل مع غيره، ليحجمني ويحجم شهرتي. ثم أصبح يضغط عليَّ لترك المجال كله والجلوس في

fb/mashro3pdf

البيت وإنجاب الأطفال، وكنت أرفض وترتفع أصواتنا، نظل نتشاجر حتى نتعب نحن الاثنان. وقتها اكتشفت حملي بالتوأم.. شيء ما بداخلي كان فرحا للغاية، ولكن الكبر والعناد حالا بيني وبين الاعتراف بذلك.

كنت حين عرفت بحملي في نهاية شهري الثالث، وبدا لي الحمل وقتها وكأنه عقاب من السماء أو بلاء عظيم،سعيت بكل ما أوتيت من قوة للتخلص منه. وكان الأمر صعبا بشكل لا يصدق،وفي النهاية تمكنت من إجهاض نفسي، وفاجأت زوجي بما فعلت، فكانت نهايتنا أنا وهو معا، ونهاية حلمي في أن أصبح أمًا يوم ما.

أتعرفين.؟!..دائما ما نرى الأشياء فنقيمها بميزاننا نحن، لا بقيمتها الحقيقية.. نقيمها بجهلنا وبهوانا ودوافعنا.. كنت وقتها أتصرف وكأنني أهرب من شيء رهيب، سيدمر كل خططي للمستقبل، ولا يداخلني الشك في ذلك.. اليوم أصبحت أفهم أنها ربما كانت إشارة لي من الله، لأتوقف عن الاندفاع والاستمرار في هذه الحياة الجوفاء التي كنت أعيشها، ربما كانت فرصتي الأخيرة لأفكر في معنى أجمل لحياتي قبل أن أنخرط في اللامعنى.

قالت جملتها الأخيرة، ثم نظرت في عيني قائلة: التوأم

لم أفهم، وظللت لثوان أنظر إليها في بلاهة، فكررت: التوأم

فقلت: التوأم؟!

fb/mashro3pdf

: أطفالك يحتاجونك عزيزتي.. التوأم يبكي ألا تسمعين؟!

قلت في خجل: آه نعم التوأم.. عن إذنك

هرولت لحجرتهما..وعند باب الغرفة وقفت أنظر لكليهما، وهما منخرطان في وصلة من البكاء الليلي، معبرين عن حاجتهما للرضاعة، وأشعر باللبن يتدفق داخلي مندفعا وراء رغبتهما، وأشعر برعشة تسري في جسدي. واسأل متى كان هذا النوع من التعب تعبا ومن قال ذلك ومتى كانت الحياة تحمل ذلك البعد السحري الثالث الا معهما.

fb/mashro3pdf

فتاة في العشرين

fb/mashro3pdf

في بداية حياته العملية، يملؤه الطموح، أمله الكبير في تكوين ثروة جعله متفانيا في عمله، يقضي أغلب أوقاته في العمل.. وبمرور الوقت، بدأ في الانقطاع عن الحياة الاجتماعية شيئا فشيئا، حتى أصبح لا يرى أصدقاءه إلا في بعض المناسبات أو الأعياد، وفي أغلب تلك المناسبات كان يحضر بجسده فقط، فإما أنه مشغول بالتفكير ببعض الأمور المتعلقة بالعمل، أو أنه متعب وفاقد للتركيز.

مرت الأيام سريعا، وبدأ حسابه في البنك يمتلئ، مما سمح له ببدأ مشروعه الخاص، ولم يتردد كثيرا، فهو من النوع المغامر، وخاصة حين يتعلق الأمر بالمال والأعمال. فترك الوظيفة التي كان يحسده عليها أغلب أفراد عائلته، وبدأ في تأسيس عمله الخاص، الذي سريعا ما بدأ في النجاح، ولكنه أخذ البقية الباقية من أوقاته مع العائلة والأصدقاء.

كان سعيدا بحياته الجديدة الممتلئة بالأرقام الكبيرة.. وفي الحقيقة لم يكن يشعر قط بافتقاد أصدقائه أو أفراد عائلته، التي أخذت تنمو وتتشعب، ولم يتابع يوما من تزوج ومن أنجب، من سافر ومن جاء، ولم يلتفت يوما لتوسلات أمه له بأن يتزوج، ولم يهتم بحضور تلك المناسبات التي كانت تدبرها أمه لتجمع فيها بنات العائلة وبنات الجيران، لعله يلتفت لإحدى تلكن الفتيات.

fb/mashro3pdf

كان مقتنعا تماما بأنه يستحق من هي أفضل من كل هؤلاء الفتيات.. لن يتزوج من أي فتاة لمجرد الزواج.. لن يكون مثل أبناء عائلته وإخوته، ويرضى بقليله (هكذا كان يفكر)... دائما كانت تردد أمه على مسامعه{ نفسى أشوف أولادك قبل ما أموت} لتثير شفقته عليها، ولكنها لم تحظي منه سوى على بعض عبارات مثل {ربنا يديكى الصحة }...حتى توفاها الله دون أن يتزوج...

تقدم به العمر، حتى اقتربت سنوات عمره من الخمسين، وعمله في ازدهار وتقدم، وحساباته في البنوك في ازدياد مطرد. ولكن شعورا خفيا بالخواء والقلق من أن يسرقه العمر بدأ يساوره، وبدأت تنتابه بعض المخاوف من الوحدة. فكر أنه ربما أن الآوان لينخرط قليلا في الحياة الاجتماعية، ويحضر بعض المناسبات، لذا، حين قام صديق له بدعوته لحضور حفل عيد ميلاد أحد أبنائه، لم يتردد في قبول الدعوة.

ذهب إلى الحفل في الموعد، حاملا معة هدية كبيرة وباقة من الزهور. استقبله صديقه استقبالا حافلا، وعرفة على بعض الأصدقاء. وكعادته ظل وحيدا قليل الكلام، لم يختلط بالحضور.. وبينما هو في شروده ووحدته، وقعت عيناه عليها.

لم يستطع صرف نظره عنها، وكأنه لم يشاهد نساء من قبل.. ولم

fb/mashro3pdf

يستطع مقاومة الفكرة بأن يتعرف عليها.. فكر أن القدر ربما أراد أن يجمعه بها الليلة، وأنه بعد كل هذه السنوات التقى أخيرا بفتاة أحلامه.. وكيف له أن يترك الفرصه هكذا.. سيقترب منها، يتعرف عليها، وبالطبع لن ترفضه.

تقدم نحوها بابتسامة بشوشة لم يعهدها وجهه، فبدت مضطربة لا إحساس بها. سألها: هل أنت من أصدقاء العائلة أم قريبة لهم؟!!... نظرت الفتاة إليه في تعجب، ولم تفهم لماذا يتحدث معها، ولكنها أجابته في أدب..

- إحنا جيران يا عمو!!..

كانت إجابتها السريعة العفوية كمطرقة كبيرة نزلت على رأسه... أخذه الذهول للحظات، ثم بدأ في الانتباه لما حوله، وكأنه كان غائبا عن الوعى.. فالفتاة في بداية عامها العشرين، يقترب عمرها من من عمر أبناء أصدقائه وأخوته. إنه فعلا، وفي حقيقة الأمر (عمو)!!

انصرف مسرعا، وسط تعجب الفتاة وتعجب صديقه. وعندما عاد إلى المنزل، أخذ ينظر إلى المرآة، ويتفحص علامات السن التى بدت ظاهرة في تقاسيم وجهه، ولأول مرة يلاحظ تلك الشعرات البيضاء التى تملأ رأسه.

fb/mashro3pdf

عبـاءتـك

fb/mashro3pdf

بذكر قلبه الطيب أبدأ حكايتي؛ تدفعني ذكرياتنا معا لأبدا حكايتنا سويا من جديد.. صوته وهو يهمهم من حين لآخر بذكر الله يخترق ذاكرتي، فيحملني على العيش في ذكرياتنا بين الحين والآخر.

بعينيه هو أحببت الحياة، رأيتها بعيون أخرى غير عيون الناس. عيون ترى كل ما في الدنيا جميلا، وكل ما يصيبنا كتبه الله لنا.

كنا ذات يوم بعيد معا، عند محطة القطار ننتظر، ومللنا من الجلوس على الدكة الخشبية، التي وضعت هناك منذ الاحتلال الانجليزي. فوقفنا، وكان الليل قد انتصف.

كان مرهقا للغاية، وعلى الرغم من تعبه والبرد كان يبتسم! فتح عباءته، وأشار لي لأختبئ فيها من برد الليل، ومسح على رأسي قائلا: انظري من فتحة الأكمام. وبالكاد كنت أصل لفتحة الأكمام.. نظرت، فرأيت السماء تزينها النجوم.

سألني عما أرى، فأجبته: السماء.

فقال: في السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماوات والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون

رغم عمري الصغير، حُفرت كلماته في قلبي وعقلي، ولم تمحها صعوبات الحياة أبدا. جدي العزيز، كيف توقعت أن تفهم طفلة صغيرة

fb/mashro3pdf

لم تتعد السابعة ما تقول؟.. (في السماء رزقكم وما توعدون) هكذا علمتني، ولم أنتظر بعدها أبدا رزقي من الأرض.

تتبدل الفصول، يذهب الشتاء فيأتي الربيع، تزداد حرارة الصيف، فتأتي نسمات الخريف، ليعود بعدها الشتاء، فيذكرني برد الليل بدفء عباءتك، وأتذكر كيف كانت الحياة وكيف تبدلت، وأتذكر كلماتك فأنظر للسماء.

ولا زلت أذكر حينما كنت أسير في الصحراء.. يضيق الطريق بي أحيانا، وأخرى يتسع.

يمشي بجواري نبي الله موسي (عليه السلام) تكسو نظرات الخوف والقلق وجهه، يهرول أحيانا وأخرى يبطئ خطوته. يتلفت في قلق، وقد خرج من مصر هاربا، بعدما قتل الفتى من قوم فرعون.

أراه الآن وقد اطمأن قليلا، بعد أن ابتعد عن الخطر. ولكن تتغير المشاعر في عينيه فجأة.. أصبح الآن حائرا، لا يعرف أين يذهب.. ومن بعيد تتراءى لنا أبواب مدينة لا أعرفها، ولا أعرف اسمها.. فقط رأيت فتاتين جميلتين عند بئر ماء أو عين لا أذكر.. الفتاتان حائرتان، تريدان أن تسقيا أغنامهما في سلام؛ ولكنهما تظلان واقفتان بعيدًا.

رأيت نبي الله موسى (عليه السلام) يقترب منهما.. ظننته لن

fb/mashro3pdf

يفعلها، ولكنه اقترب. أخذ الأغنام وسقاها، وأنهى معاناتهما.

وسمعت أباهما وهو يعرض على موسى (عليه السلام) الزواج من إحدى ابنتيه. وحينها رقص قلبي فرحا لفرحة موسى (عليه السلام)..

وأتذكر، حين سافرت مع نبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وسلم) في رحلة الإسراء

والمعراج.. ووصل - وأنا أراه- إلى حائط البراق، حيث تجمع الأنبياء هناك. رأيتهم يسلمون عليه (صلى الله عليه وسلم) ويصطفون خلفه لأداء الصلاة، ويسوون الصفوف بينهم، يؤمهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وسمعت تكبيرة الإحرام

الله أكبر..الله اكبر

وحين بدأت رحلة المعراج، ووصل الرسول الكريم إلى أبواب السماء، رأيت الأبـواب تفتح له (عليه الصلاة والسلام). مررت بالسماوات السبع واحدة واحدة، حتى وصلنا إلى سدرة المنتهى. وهناك وقفت أتأملها، وأحاول تشكيل صورة لها فلا أستطيع، ولم أستطع أن أتخطاها.

وحين عاد رسول الله إلى مكة، سمعته يحكي لقريش عن رحلته، وودت لو أن لي صوتا لأحكي لهم ما رأيت.. لكني لم أستطع.

fb/mashro3pdf

سمعت أبا بكر وهو يصدق على قول رسول الله، وطرت فرحا بكلماته. أحببت أبا بكر حينها.. و لم يخرج حبه من قلبي حتى الآن

كنت هناك، عشت كل هذا بقلبي وروحي وعقلي، حين كنت تحكي لي يا جدي كل ليلة (حدوتة قبل النوم)

في كل ليلة كنت أعيش حكاية، أرى وأسمع أنبياء الله، أتعلم من عفويتهم وصدقهم وإخلاصهم وإصرارهم على تأدية رسالاتهم.. وأرى تلك الصعاب التي مروا بها، فيهون عندى ما دون ذلك.

علمتني سرًا عظيما من أسرار الحياة، وكأنه مفتاح يفتح بأمر الله ورحمته أبوابا من راحة البال والسعادة، والتي لا تنغلق أبدا.

fb/mashro3pdf

تنويه

الشخصيات والحكايات من وحي خيال الكاتب وأي تشابه مع الواقع فهو من قبيل الصدفة

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

تفكر أنه ربما آن الأوان لتولد
من جديد طفلة نقية على الفطرة ..
الطفولة لا تعرف الذكريات ولا تعرف خيبات
الامل .. الطفولة لا تعترف بغضب مكتوم مدخر
داخل الجسد .. والفطرة شيء نقي يكمن بداخلنا
ينتظر أن نتحرر .
هذه الخيوط الوهمية التي تربطها بهم تمدها
برصيد من الغضب والحزن والذكريات المرتبكة
ويروق لها ا لليلة أن تقطع تلك الخيوط
والى الابد .

تصميم: محمد عيد

إبداع

fb/mashro3pdf